الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: ...../.....

رقم التسجيل ط1: 1535098104

رقم التسجيل ط2: 1535108314

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

بعنوان

المسكوت عنه في الرواية المغربية رواية في بلاد نون لأحمد المديني أنموذجا

إعداد الطالبتين:

- بركاهم قري
- هجيرة بربيش

- أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

- د/ لخضر هني	أستاذ محاضر "ب"	جامعة المسيلة	رئيسا
- د/ سعاد عريوة	أستاذ محاضر "ب"	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
- د/ عبد الكريم معمري	أستاذ مساعد "أ"	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1440-1441هـ 2019/2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لك الحمد والشكر على هذه النعمة المزداة حمدا كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

"فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب" ﷺ يقول النبي

الشكر والتقدير لكل المعلمين والأساتذة من قريب أو من بعيد، لما قدموه من توجيهات وإرشادات طيلة قيامنا بالبحث، وعلى رأسهم الأستاذة الفاضلة

عريوة سعاد

التي لم تكن مجرد أستاذة لنا، بل كانت الموجهة والمرشدة، ولم تبخل علينا طيلة فترة البحث، بتوجيهاتها القيمة ونصائحها وإرشاداتها المنهجية، والتي سمحت لنا بالسير على المنهج السليم، أطال الله عمرها ومدّ علمها ووسعّ فكرها.

وحسبنا في هذا المقام معلمينا الأوائل ورفقاء دربنا الذين سعدوا بهذا البحث، والوالدين الكريمين حفظهما الله ورزقهما الخير والنعيم الأبدي، والإخوة والأخوات الأعزاء، كما لا ننسى في هذا المقام زملاءنا من الطلبة والطالبات خريجي دفعة **2020**.

إلى كل أساتذتنا بجامعة المسيلة، وإلى كل طلبة جامعة المسيلة

إلى كل الأصدقاء والأقرباء والأحبة من قريب أو من بعيد

وإلى كل طاقم مكتبة البيان

بركاهم

هجيرة

مقدمة

الرواية العربية ناقشت قضايا تمس صميم المحظور في المجتمعات العربية منذ بدايتها، فالروائي وان كانت بناءا تخييليا الا أنها تستمد وجودها من قضايا المجتمع، فرواية زينب وان اعتبرت أولى بواكير الأدب الحديث إلا أنها ناقشت قضية العلاقة بين الجنسين وهو موضوع لم يكن يسهل التعبير عنه في ذلك الوقت، غير أن الرواية الحديثة أو الحداثية استطاعت أن تتجاوز كل التابوهات والحواجز وهو ما سمي بالثالوث المحرم (الجنس، الدين، السياسة) وهذا ما مصطلح عليه نقديا بالمسكوت عنه في قضايا الأدب.

وهذا ما حفزنا لدراسة رواية "في بلاد نون"لأحمد المديني كونها تحمل في ثناياها بعض هذا المسكوت عنه.

ونهدف من خلال دراستنا إلى إبراز أهم المواضيع المسكوت عنها التي تتناولها الرواية العربية الحديثة المعاصرة، وكذلك التعرف على هذا الموضوع في الرواية المغاربية بالأخص.

وللوقوف على دراسة وكشف ما ذكرناه أنفا نطرح الأشكال التالي ما المسكوت عنه التي عالجته رواية في بلاد نون لأحمد المديني؟ وكيف تم توظيفه من طرف الكاتب؟ وما هي جمالية هذا التوظيف؟ ومن الأسباب التي دفعتنا لدارسة هذا الموضوع والرواية هذه "في بلاد نون" جدة هاته الرواية وندرة الدراسات حول هذا الموضوع في هذه الرواية، وكذلك قلة الدراسات في هاته الرواية

وللإجابة على هذه الإشكالات رسمنا خطة مكونة من فصلين وخاتمة الفصل الأول بعنوان المسكوت عنه في النص الروائي العربي، وتناولنا فيه شرح بعض المصطلحات النقدية كلمسكوت عنه والتابو ... وبعض النماذج من الروايات العربية، واما الفصل الثاني فعنوناه بلمسكوت عنه في الرواية وتطرقنا فيه إلى: إلى الفجوة بين المدينة والريف، صور الفساد، وتعزيز النزعة القبلية والاهتمام باللغة الامازيغية وتدخل الحاكمية العظمى في الأمور الدينية... وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التاريخي القائم على الوصف والتحليل، كونه المنهج المناسب لهذه الدراسة ومن بين الصعوبات التي

واجهتنا في دراستنا هاته قلة المراجع، والتباعد الاجتماعي الذي كان سبب جائحة كورونا والذي أدى. إلى غلق كل الجامعات وكل المكتبات . وفي الأخير نشكر الأستاذة المشرفة التي مدت لنا يد العون وكانت سندا لنا في هاته الدراسة.

الفصل الأول

المسكوت عنه في النص الروائي العربي

أوّلا- تحديد المصطلحات

ثانيا- المسكوت عنه في الرواية العربية

أولا- تحديد المصطلحات:

1- المسكوت عنه:

لغة: «من الفعل سكت كما ورد في لسان العرب لابن منظور من السكت والسكوت. خلاف النطق، وقد سكت يسكت سكوتا وسكاتا وسكوتا وأسكت».[1]

أمّا «المسكوت فهي اسم مفعول من سكت سكتا وسكوتا صمت»[1].

اصطلاحا: «نقصد به جملة المحظورات الأخلاقية الدينية السياسية التي يأتيها الأدباء في كتاباتهم أي الثالوث المحرّم: الدين، السياسة، الجنس».[1]

إذن فالمسكوت عنه نقيض النطق وهوما أن يكون موافقا للمنطوق أو مخالفا به، «وقد عهد المعاصرون من أهل الأدب إلى حصر تسميات المسكوت عنه في ثلاثة مواضيع: (الجنس، الدين، السياسة) وهي الكلمات التي يمكن اختصارها في عبارة [ج، س، د، أو جسد] التي تناولها الروائيون بأساليب تفاوتت بين المباشرة، الإيحاء والتلميح والتصريح، إذ لا يمكن أن تتساوى نسب استعمال هذه التسميات الثلاث، في الخطاب الذي عادة ما يميل إلى تكثيف أحدها على البقية، ولذلك مصوغات أسلوبية ومتطورات فنية، ومقصديات موضوعية وذاتية تحايث الخطاب السردي»[1]، ومن هنا يتضح أنّ تسميات المسكوت عنه:

-قيمة الجنس.

- قيمة السياسة.

- قيمة الدين.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ص2046.

[1] أ.م.د حميد عبد الحمزة الفتلي، المسكوت عنه دراسة نحوية دلالية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة بغداد، حزيران 2014، ص 295.

[1] بحري محمد الأمين، سيميائية المسكوت عنه في الرواية الجزائرية، الملتقى الدولي الخامس "السيمياء والنص الأدبي" كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الأدب العربي، جامعة بسكرة، ص1.

[1] محمد الأمين بحري، قيمة المسكوت عنه في الرواية الجزائرية المعاصرة. بين التواصل والقطيعة، جامعة بسكرة، ص 1.

ويرى ثامر فضل بأنّ «دراسة المسكوت عنه أو المغيب في الرواية العربية تحتل أهمية استثنائية في الاستقصاء النقدي العربي الحديث، ذلك أنّ النص الإبداعي العربي وبالذات النص الروائي يجد النص الروائي نفسه مضطرا في الغالب إلى الصمت أو السكوت تاركا المزيد من الفراغات والفجوات الصامتة التي تتطلب جهدا استثنائيا فاعلا من جهة التلقي والقراءة».[1]

فقد أصبح هنالك أهمية كبيرة واستثنائية عن النقاد العرب في العصر الحديث لموضوع المسكوت عنه أو النص المغيب في الرواية العربية، فقد أصبح النص الروائي يلجأ في الغالب إلى الصمت أو السكوت ليجعل القارئ يبذل جهدا لفهم تلك الفراغات والفجوات الصامتة، ويخضع النص الروائي حسب فاضل ثامر إلى جملة من الضغوطات الداخلية والخارجية فهذا النص يقع تحت «تأثير سلطات الدولة الامبريالية والآخر في الدول النامية وتحت إرهاب الدولة الوطنية وأجهزتها القمعية والبيروقراطية، كما يقع تحت سلطات التراث واللغة والدين والجنس والأعراف والتقاليد الأدبية والمؤثرات الثقافية الأجنبية إضافة إلى سلطة المجتمع والقبيلة والأب والأعراف والتقاليد الاجتماعية».[2]

فهذه الضغوطات أو السلطات كان لها تأثير بالغ في النص الروائي العربي، فالروائي يحد نفسه مجبرا على الابتعاد عن المواضيع الحساسة والمحظورة من خلال اعتماده على عمليات جمالية وفنية في كتابة النص الروائي.

2- الثالوث المحرم:

الثالوث: «ما كوّن من ثلاثة، ومنه الثالوث الأقدس رمزا للأقا... الثلاثة».[3]

المحرّم: فجمع المحرّم هو محارم ومحاريم ومحرّمات»[4]، وكما ورد في معجم الوسيط هو «الامتناع أي حرم فلاناً الشيء حرمانا أي منعه إياه».[5]

[1] فاضل ثامر، المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي، ط1، دار الهدى، 2004، ص 10.

[2] المرجع السابق، ص 10.

[3] إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة، 1425، 2004، ص 99.

[4] ابن منظور، لسان العرب، ص 845.

[5] إبراهيم مصطفى، معجم الوسيط، ص 168.

- اصطلاحا:

- كما يسميه بعضهم، خطوط حمراء ثلاثة، ابتعد الأدباء عنها حقبة طويلة ثم اتجهوا بالحوم حولها سعيا لكسرها وتجاوزها ضمن تغييرات عديدة في الأدب، كفلها الزمن والأوضاع المتعاقبة[1]. فهذه الخطوط الثلاثة الحمراء كانت حاجزا لا يمكن تجاوزه أما الآن فأصبح الأدباء قادرين على كسر هذا الحاجز من خلال خرقه والكتابة في تلك المواضيع المحظورة.

ج- مصطلح التابو: تدل مفردة التابو (taboo) على المقدّس، المحرّم أو المحظور، أو ن المسكوت عنه، سواء أكان دينيا، أم جنسيا أم سياسيا، أم عرقيا (قبليا) أم غير ذلك، وتشير تحديدا إلى مناقشة أو كسر فرد أو فئة مواضيع دينية أو جنسية أو سياسية أو قبائلية، وحينئذ يحضر التابو بصفته على التصرفات والأقوال، وبالذات على الكتابة الإبداعية، التي تعد أقدر من غيرها على تقديم ثقافة انتقادية أو مناقضة لكل تابو سائد في المجتمع.[2]

-كما تعرفه هادي العلوي على **«**أنّه مصطلح يفيد التحريم والمحرّم ومعناه الأصلي تحريم استعمال شيء أو ألمس به خوفا من عواقب تلحقها به القوى الفوق طبيعية**».**[3]

فمن خلال هاته التعاريف يتضح بأنّ مصطلح التابو يدل بصفة عالمة على كل ما هو محرّم ومحظور ومقدّس لا يمكن المساس به سواء كان دينيا أو جنسيا أو سياسيا.

فهذا المصطلح هو «مصطلح حديث النشأة يعود ظهوره إلى القرن السابع عشر للميلاد بأوربا تمخض عن تواطؤ السلطة الكنسية والسياسية على خد سواء... ففي القرن الثامن عشر صدر قانون ينظم مهنة الكتّاب نصّ على منع الكتب التي تمس ثالوث النظام: الدين، الدولة، الملك».[4]

---

[1] م.م عزيز لطيف ناهي، " التابوهات المحرمة الرواية السعودية (الجنس، الدين، السياسية)، مجلة جامعة ذي قار، المجلد 13، أيلول 2008، كلية التربية، جامعة القادسية، ص 177.

[2] حسين المناصرة، مقاربات في السرد، دار عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط 1، سنة 2012، ص 41.

[3] هادي العلوي، قاموس الدولة والاقتصاد، سلسلة 2، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1998، ص 161.

[4] نزيهة زاغر، معمارية البناء السردي بين ألف ليلة وليلة والبحث عن الزمن الضائع، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، بسكرة، 2008.2007، مخطوط نقلا عن تجليات التابو في النتاج الأدبي العربي القديم والمعاصر، ص12.

فظهور المصطلح راجع بالدرجة الأولى إلى الكنيسة والسياسة والسلطة التي فرضت سيطرتها على الكتّاب وهذا ما أدّى إلى ظهور ما يعرف بقانون الجنس والدين والسياسة.

- تابو الجنس:

لا يزال موضوع الجنس يثير بلبلة في الثقافة العربية من خلال التطرق لمواضيع تخرج عن الأعراف والتقاليد العربية باعتبار أنّ الثقافة العربية تعتبر ثقافة محافظة، لأنّ الجنس يرتبط ارتباطا وثيقا بالأخلاق، فالتطرق لهذا الموضوع يعتبر خلخلة وكسر حاجز الثقافة العربية.

فالجنس بحسب ياسين بوعلي عنصر أساسي في تكوين الانسان « فالإنسان المكبوت ليس حقا بقادر على العمل الخلاق مثل الانسان المشبع جنسيا إذ أنّ الحرمان الجنسي بجعله في نفسية ووضعية فيزيولوجية معيقة لمثل هذا العمل».[1]

فالجنس إذن يعد عنصرا ضروريا في تكوين لإنسان فاعل في المجتمع وبعدّ أيضا عنصرا بل يمكن الاستغناء عنه في النص الروائي في العصر الحديث والمعاصر، فقد أضحت الكتابات الروائية مهدا يترعرع فيه الجنس، فلا تخلو رواية منه لأنّه أصبح مقوما للكتابة الروائية.[2]

وقد تطرّق حسين مناصرة لتابو الجنس من خلال رواية جاهلية لليلى الجهني، فهذه الرواية تبتعد «عن وصف المشاهد الجنسية المباشرة لتركز على إشكالية ممارسة الجنس غير الشرعي بصفته ممارسة ذكورية بامتياز وذلك من خلال ذكورية هاشم أبرز الشخصيات الرئيسية في الرواية».

---

[1] بوعلي ياسين، الثالوث المحرم دراسات في الدين والجنس والصراع الطبقي، ط 2، دار الطليعة، بيروت، أبريل، 1978، ص38،37.

[2] حسين مناصرة، مقاربات في السرد، ط1، دار عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 2012، ص 42.

فالنص الروائي هذا تطرّق إلى إشكالية ممارسة الجنس غير الشرعي، والذي يعد في الثقافة العربية على أنّه الخروج من تعاليم الدين الذي يجرّم مثل هذه الممارسة في إطارها غير الشرعي، والمرأة في الثقافة العربية لها مكانتها الخاصة، وليست مجرد حسد لإشباع الغرائز الجنسية للذكر «بحيث تصبح المرأة الأخرى في حياته وحياة رفاقه مجرد صيد يصطافون في الأسواق وفي مواسم الحج على وجه الخصوص، ثم غدوا يمارسون الجنس بصفته عادة آلية غير مانعة في حياتهم، وقد رأى هاشم نفسه في هذا السياق على نحو حيواني بوهيمي وهو يركب الأخريات»[1].

ففي الرواية يظهر الجنس تيمة بني عليها النص السردي الذي فحواه تلك الممارسات الجنسية مع النساء التي أظهرت الجانب الحيواني للذكر الذي لا يمكنه العيش دون تلك الممارسات «فتابو الجنس هو التابو الذي يجتمع ضده الدين والعرف الاجتماعي»[2] لأنه يكون في الرواية بلغة جريئة مثيرة، يهدف من خلال نافذة هذا التابو أن يحقق رواجا لكتاباته دون تحقيق الفنية السردية، «بحيث يصبح تمثيل تابو الجنس هو المحور ومررتكز قيام سرد هذه الروايات، هذا من جانب ومن جانب آخر هو لتسليط الضوء على واقع مسكوت عنه والتعبير عنه في سرد تخييلي جريء».[3]

- تابو الدين:

هناك العديد من التعريفات التي تعرف الدين ومنها « الدين من وجهة نظر أكاديمية بورجوازية هو نظرة إلى الكون وطريقة حياة محدد بالإيمان بوجود اله أو ألوهية، هو شعور بالارتباط بالتعلق والالتزام اتجاه قوة سحرية، ساندة ومبجلة»[4]، فالإنسان يشعر

[1] حسين مناصرة، مقاربات في السرد، ص 42.

[2] م.م عزيز لطيف ناهي، التابوهات المحرمة الرواية السعودية (الجنس، الدين، السياسة)، مجلة جامعة ذي قار، المجلد 13، كلية التربة، جامعة القادسية، ص 178.

[3] المرجع نفسه، ص 178.

[4] بوعلي ياسين، الثالوث المحرم دراسات في الدين والجنس والصراع الطبقي، ط2، دار الطليعة، بيروت، أبريل، 1978، ص 11.

بشعور داخلي بأنّ هناك قوة خفية تتحكم بأفعاله وأقواله ويشعر دائما بأنّه ملزم بالخضوع لهذه القوة.

ويعرّف كذلك في موسوعة مصطلحات الفكر النقدي العربي والإسلامي والمعاصر بأنّه «ثابت ساكن في الحقائق الأزلية ينظر إليه ليستلهم مهده، ولذلك كان يشكّل دائما التبرير الميتافيزيقي للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية القائمة»[1].

وفي هذا الجانب يرى سبينوزا في كتابه اللاهوت والسياسة ضرورة تدخل الإيمان في تسيير شؤون العامة، فالكتاب المقدّس ينص في مختلف نصوصه على المبادئ الأخلاقية التي يتم الوصول إليها عن طريق النظر العقلي والتفلسف والبرهان، فهذا الكتاب تتأسس نصوصه على الخيال التصويري والمجاز وضرب الأمثلة.

وحاول حسين مناصرة إعطاء ملامح واضحة وكيفية تجسيد الدين في النص الروائي، ومدى ظهور هذا التابو في الرواية العربية مثل رواية جاهلية لليلى الجهني التي كشفت عن زيف الواقع الاجتماعي وضلاميته وذلك عندما يجيّر الدين لمصلحة الثقافة الاجتماعية السائدة في العادات والتقاليد التي ترفض أن تزوّج امرأة بيضاء ابنة ق ببيلة لرجل أسود تكروني، بحيث يصبح هذا الزواج فضيحة اجتماعية لا يمكن قبولها أو السماح بها بغض النظر عن كونه زواجا مشروعا دينيا»[2].

يتضح من خلال ها أنّ الدين رغم أنّه مبادئ وأخلاق ثابتة أصبح يطبّقه كل فرد حسب مصلحته الثقافية والاجتماعية السائدة، فرغم أنّ زواج تلك ألامرأة البيضاء برجل أسود مسموح ومقبول شرعا، إلّا أنّ هناك من رفض ذلك باسم الدين.

---

[1] جيرار جيهامي وآخرون، موسوعة مصطلحات الفكر النقدي العربي والاسلامي المعاصر، ج1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط 1، 2004، ص 1031.

[2] حسين مناصرة، مقاربات في السرد، ص 53.

«فالشيوخ رمز التابو الديني الواقعي في الرواية، لا يطبقون التعاليم الدينية السماوية التي لا تفرّق في ذاتها بين الناس من جهة أنسابهم وألوانهم وجنسياتهم».[1]

فرغم أنّ الشيوخ يرمزون لهذا التابو، غير أنّه عكس ذلك في الواقع، حيث أصبحوا يفرقون بين الناس على حسب أنسابهم وألوانهم.

«ويستغل الدين في سبيل مآرب شخصية: من أجل هذا كانت حملة الزاوي على بعض الفئات الدينية التي يسميها بالأصوليين... فأدانت هذه الطائفة من دعاة هذا الدين الذين يحرقون الأطفال ويطلقون فتاوى مرعبة»·

فالروائيون ليسوا ضد الدين كعقيدة، بل هم ضد استغلال الدين في مآرب شخصية، وضد من يمثلون الدين على عكس ما هو في الحقيقة ويطلقون فتاوى مرعبة ويدعون إلى الفوضى في المجتمعات باسم الدين.

- تابو السياسة:

تعرف السياسة «بأنّها استصلاح الخلق بإرشاداتهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل والسياسة في قاموس وبستر الكبير هي الحصافة أو الحكمة في تدبير الأمور... تقابل سياسةPolicy أما Politcsفهي علم السياسة وقياسها سياسيات».[2]

«وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، فكلما هلك نبي خلفه نبي، وإنّه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون، وسيكون خلفاء فيكثرون، قالوا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: أوفوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقّهم وتسألو الله الذي لكم، فإنّ الله سائلهم عما استرعاهم».[3]

---

[1] حسين مناصرة، مقاربات في السرد، ص53.

[2] هادي العلوي، قاموس الدولة والاقتصاد، سلسلة 2، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1998، ص20

[3] أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم (3455) ومسلم كتاب الأمارة،باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول برقم (1842).

إذن فالسياسة هي عبارة عن سبل أو طرق والتي يستطيع من خلالها بعض الأفراد والجماعات تدبير أمورهم بخطط قادمة من أسيادهم أي يتولون أمورهم كما يفعل الولّاة بالرعية.

وقد تطرّق بعض الأدباء عن ما يعرف بالمسكوت عنه سياسيا في أعمالهم الأدبية المختلفة، وقد تطرق حسين مناصرة لهذا التابو في كتابه مقاربات في السرد من خلال طرحه لجملة من النماذج الروائية التي تناولت هذا الموضوع ومنها تهتم رواية سيقان ملتوية بالسياسة، فتستحضر إعدام صدّام حسين، والإرهاب، وفلسطين، والعراق، وتورط إيران في الفتنة الطائفية بلبنان، و11 سبتمبر، الذي جعل العربي في الغرب ملاحقا بنظرات الاتهام.[1]

فهذا يوضح مدى مواكبة النص الروائي العربي لما هو جارٍ في الجانب السياسي في الوطن العربي، ومدى احتواء هذا النص للتغييرات التي تحدث فيه يوميا.

ويكون التطرق إلى هذا الجانب بطريقة سردية تُظهر نصّين النص السطحي والنص الغائب الذي لا يتأتى لأي قارئ إلّا إذا كان قارئا متعمقا متفحصا لهذا النص.

---

[1] حسين مناصرة، مقاربات في السرد، ص 64.

ثانيا- المسكوت عنه في الرواية العربية:

النصوص الروائية المغاربية كغيرها من النصوص الروائية المشرقية التي ظهرت عن طريق التأثر بالنص الروائي الغربي، في القرن التاسع عشر، عند ظهور العديد من النصوص الروائية المبكرة وصولا إلى رواية زينب 1914 لمحمد حسن هيكل، فالنص الروائي المغاربي مرّ بنفس ما مرّ به النص الروائي في المشرق العربي، إلّا أنّ النص الروائي المغاربي الحديث يتميز «بسمات وظواهر عديدة يبرز خصوصيته وفرادته، فهو إنتاج متنوع اللغات والمرجعيات الثقافية، وهو أدب يحسّد ويصدر عن قواسم مشتركة تعتبر ثمرة استلهام الأدباء لنفس السياق السياسي والسيسيو ثقافي»[1]، فللأدباء والروائيين المغاربة قواسم مشتركة كانت ولا تزال المنبع الذي يستلهمون منه في كتاباتهم، ومن هذه القواسم «ارتباط نشأة هذا الأدب في مراحله الأولى قبل الاستقلال ببروز الحركات الوطنية وحركات الإصلاح والتجديد، ومنحنى الموروث الثقافي في العالم واستمرار تأثيره وامتداداته في الذاكرة والوجدان والتربية وقوة حضور التراث الشعبي وعمق التفاعل والتواصل مع الحركة الثقافية والأدبية في المشرق العربي، وكذا تأثير المثاقفة والحاجة إلى الانفتاح الإيجابي على الآخر ثقافة ولغة، ولكن بأفق نقدي وانتقادي»[2].

فجملة هذه القواسم المشتركة بين الكتّاب والروائيين المغاربة أدّت إلى ظهور نصوص روائية تحاكي نفس الواقع المعيش، ونفس الظروف الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وكان الروائيون المغاربة يتطرقون إلى هذا الواقع وهذه الظروف عن طريق نصوص روائية تعجّ بالخيال والعجائبية وأساليب التشويق هذا من ناحية ظاهر النصوص، فبالرجوع إلى النص الغائب أو الضمني نجدهم يبرزون ما هو مسكوت عنه في مجتمعاتهم من تهميش اجتماعي واقتصادي، وما هو مسكوت عنه في

---

[1] محمد برادة، وعبد الحميد عقار، الأدب العربي المغاربي الحديث، التسميات والأشمال ضمن كتاب L'e tat du maghrib، م، س، ص304.

[2] عبد الحميد عقار، الرواية المغاربية، تحولات اللغة والخطاب، شركة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001، ص20-21.

الجوانب النفسية للإنسان المغاربي من خلال ابتعاده عن الحدود الاجتماعية والدينية والثقافية لمجتمعه. ويمكننا ــن نطرح نماذج من الرواية المغاربية التي كانت وعاء احتوى هذه المواضيع، وكشف التستّر عنها، وكان لها تميز لافت في الساحة الأدبية العربية والمغاربية بصفة خاصة.

أ- المسكوت عنه في النص الروائي المغاربي:

1- المسكوت عنه في النص الروائي الجزائري:

كان النص الروائي الجزائري يواكب كل ما هو حاصل في المجتمع من تحولات وصعوبات، فقد كان المنبر الذي وجد فيه الكتّاب والأدباء المتنفّس الوحيد لأفكارهم وآراءهم التي أرادوا إيصالها للمجتمع عن طريق قراءة هذه النصوص وتصفحها، وتعد فترة السبعينات هي الفترة التي عرفت ظهور رواية جزائرية ناضجة، على الرغم من ظهور النصوص قبلها مثل أول عمل جزائري كان ذا منحى روائي وهو حكاية "العشّاق في الحب والاشتياق" لصاحبه محمد بن إبراهيم سنة 1849، ثم تلتها نصوص أخرى "كغادة أم القرى" لأحمد رضت حوحو 1947، والطالب المنكوب سنة 1951 لعبد المجيد الشافعي، ونصوص أخرى كصوت الغرام لمحمد منيع، وريح الجنوب 1971، ونهاية الأمس 1974 لعبد الحميد بن هدوقة، ففترة السبعينات هي الفترة الفعلية لظهور رواية فنية ناضجة من خلال أعمال عبد الحميد بن هدوقة[1] "ريح الجنوب" و"مالا تذروه الرياح" لمحمد عرعار، واللاز والزلزال للطاهر وطار، ومن هنا تتكون تجربة روائية جزائرية متقدمة من سماتها الشجاعة في الطرح والمغامرة الفنية والحرية السياسية.[2]

ثم تلت هذه المرحلة مرحلة الثمانينات والتسعينات، فالأولى كانت بمثابة اتجاه روائي تجديدي حديث في نمط الأدب الجزائري، أما الثانية فقد حفلت بالروايات المؤسسة

---

[1] أحمد دوغان، في الأدب الجزائري الحديث، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، د ط، 1996، ص505-506.

[2] ادريس بوديبة، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، ط1، 2000، ص50.

لنص روائي باحث عن تميز إبداعي يرتبط كل الارتباط بالمرحلة التاريخية والواقع الاجتماعي المعيش، الذي كان عبارة عن المهد والأرض الخصبة للروائيين.[1]

ومن روائيي تلك المرحلة:

-عبد الحميد بن هدوقة: بان الصبح، الجازية والدراويش، غدا يوم جديد...

- واسيني الأعرج: وقع الأحذية الخشنة، وقائع من أوجاع رجل غامر صوب البحر، مصرع أحلام مريم الوديعة، ضمير الغائب، نوار اللوز...

- أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، عابر سرير،

- رشيد بوجدرة: ألف عام وعام من الحنين، الحلزون العنيد، معركة الزقاق، التفكك...

- الطاهر وطار: الحوت والقصر، العشق والموت في الزمن الحراشي، تجربة في العشق...

- محمد ديب: غفوة حواء، سطوح أو رصول.

- فضيلة الفاروق: أقاليم الخوف، تاء الخجل، اكتشاف الشهرة، مزاج مراهقة...

- أمين الزاوي: التويزا، السماء الثامنة.[2]

فالنص الروائي الجزائري إذن كان جنبا إلى جنب مع الواقع المعيش وتحولاته السياسية والاجتماعية والثقافية، فالنص الروائي الجزائري كان بمثابة الديوان الذي حوى كل متغيرات وتحولات المجتمع الجزائري، وتعمق إلى أغوار أحواله ومشاكله. فنجد أنّ هناك العديد من الروايات التي تناولت الجوانب السياسية والاجتماعية، الدينية، الثقافية وحتى الجنسية في المجتمع الجزائري، وسنتناول هنا نموذجين روائيين جزائريين برروا بكل وضوح في هذا المجال.

---

[1] ينظر حياة لصحف، جماليات الكتابة الروائية، شعبة النقد الأدبي المعاصر في المغرب العربي، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2015-2016، ص14-17.

[2] ينظر أحمد أدوغان، في الأدب الجزائري الحديث، ص501-510.

1- فضيلة الفاروق

تعد فضيلة الفاروق من الكاتبات اللاتي أبدعن في الأدب النسائي عربيا، كتبت للمرأة وعن المرأة وللوطن وهمومه وتحولاته، فالمرأة أيضا ساهمت بكتاباتها في كتابة كل ما يطرأ في العالم، غير أنّ هذا الأدب – الأدب النسائي- الذي نسب للمرأة طرح إشكالية من ناحية المصطلح، فهذا الأدب يعتبر في حدّ ذاته قفزة ومنعرجا في الأدب، فظهوره بمثابة مزاحمة لما يكتبه الرجل " فمصطلح الأدب النسائي يفيد عن معنى الاهتمام وإعادة الاعتبار إلى نتاج المرأة العربية الأدبي، وليس عن مفهوم ثنائي، أنثوي-ذكوري يضع هذا النتاج في علاقة اختلاف ضدي-تناقضي، مع نتاج الرجل الأدبي .

هذا الأدب ليس أدب ضد ما يكتبه الرجل، بل هو عبارة عن أدب له اهتمام خاص بالمرأة، ويعيد لها اعتبارها كونها انسان مبدع على غرار الرجل، فنتاج المرأة الأدبي لا بتناقض أو يتنافر مع نتاج الرجل الأدبي.[1]

فالمرأة ركيزة أساسية في بناء المجتمع والعمل على تطويره، فقد «أدركت المرأة مع بداية عصر النهضة أنّ تحررها منوط بتحرير الوعي الجمعي من ذلك الإرث القيمي الذي كرّس دونيتها، وفرض عليها أن تكون رهينة الجدران والحجب، وأدرك الرجل النهضوي، على قاعدة العلاقة نفسها، أنّ عملية التحرير الوطني ونهوض المجتمع منوطان بشكل أساسي بتحرير المرأة وخروجها من عزلتها إلى عالم تشارك في صنعه».[2]

ففي عصر النهضة بدأ يتشكل لدى المرأة وعي جديد يقوم على مبدأ تحريرها من كل القيم والعادات والضوابط التي جعلتها في منزلة دونية، فقد أدركت أنّ ذلك الوعي الجمعي لا يتحرر إلّا عندما تحرر المرأة من كل القيود التي كانت تكبلها، ومن هنا أصبح للمرأة في كل المجالات دور وركيزة أساسية في الأدب العربي.

---

[1] يمنى العيد، الرواية العربية، دار الغرابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص137.

[2] المرجع نفسه، ص139.138.

ففضيلة الفاروق طرقت باب الأدب وأبدعا فيه، وحاكمت مواضيعها الواقع المعيش في الجزائر، فكشفت من خلال كتاباتها عن خباياه وأسراره بطريقة روائية فذّة، وبأسلوب خاص تغلغلت في المجتمع الجزائري، وكشفت الستار عمّا يعيشه من تحولات وتناقضات.

- المسكوت عنه دينيا في روايات فضيلة الفاروق:

تناولت الروائية الجزائرية هذا الجانب من خلال علاقته بالمرأة العربية، الجزائرية بالأخص، فهي المرأة التي حاولت أن تنتفض لتتحرر من قيود الرجل، ومن قيود الدين التي علمها لها المجتمع، والتي أرقت منها ومن استبدادها واستغلالها، ولأن اجتماع سلطة الدين وسلطة الذكورة (الدين/الرجل) يجعل الأنثى ضحية الاستلاب[1]. فقد عملت فضيلة الفاروق في رواياتها إلى جعل المرأة تتحرر من قيود الدين والرجل، فاجتماع هذين العنصرين جعلا منها محل استغلال وأصبحت تحت سيطرتهما ضحية « حيث تكشف الكاتبة من خلال رواياتها مكانة المرأة الحقيقية في مجتمع بالٍ تسيّره عادات بائسة وتقاليد رثّة تضع المرأة على الهامش ولا تعترف بها ككيان له عالمه الخاص وسحره المتميز[2]، فقد سعت الروائية لإظهار المكانة الحقيقية التي لا بدّ أن تحظى بها المرأة في المجتمع الذي جعلها مكبلة الأيد والأرجل وجعلها فيها مجرد هامش لا يقتضي أن يكون له عالمه الخاص».

وتطرقت الكاتبة للعديد من المواضيع الدينية في رواياتها ومنها **الحجاب** الذي تُرد به المرأة للسترة في المجتمع العربي الإسلامي، « إذ يبدو الحجاب –حسبها- كفنا تطوّق به المرأة وتحرم بسببه من ممارسة حياتها بطريقة عادية وربما قد يكون سببا في فشلها وحاجزا يحول بينها وبين طموحاتها، آفاقها، آمالها، أمانيها، حيث صورت الحجاب بصورة بشعة مثيرة للاستنكار في مواقف عديدة فتقول في –مزاج مراهقة– وجهي لم يعد

---

[1] سوسن ابرادشة، المحكي الممنوع في روايات فضيلة الفاروق، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، أدب جزائري، كلية الآداب واللغات، جامعة سطيف، 2013-2014، ص63.

[2] المرجع نفسه، ص

يستوعبني بتلك الكذبة التي أرتديها»[1]، فموضوع الحجاب عند فضيلة فاروق كان له أهمية كبيرة، فهي في رواياتها ولا سيما رواية مزاج مراهقة، فقد اعتبرته في هذه الرواية عبارة عن كفن تلبسه المرأة ويطوقها، واعتبرته سبب من الأسباب التي تجعل المرأة في محل الفشل لأنه حسبها حاجز يقضي بينها وبين كل ما تصبو إليه في مستقبلها، «فحاملات الخمار لهن وجوه تميزهن عن الناس وتجعلهن من الناس، ولكنهن مع ذلك يحملن علامات تدل على المنع، أو على الشطب...والمشطوب مخفي لمنه ظاهر من حيث مخفي ظاهر باعتباره يجب أن يخفى».[2]

فكل امرأة تضع الخمار على رأسها يصبح لها وجه متميز عن بقية الناس، فهذه المرأة تصبح حينئذ تحمل علامة من علامات المنع أو الشطب في مجتمعها، فتصبح كأنها شيء مخفي لكنه ظاهر، ولا بدّ له من أن يكون مخفى.

إنّ رؤية الكاتبة للحجاب هي رؤية اجتماعية قبل أن تكون دينية تتضح أكثر من خلال سردها للأحداث التي مرت بها شخوصها، فارتداء لويزا للحجاب ثم خلعها له واعتبارها الحجاب قناعا يغطي شخصيتها الحقيقية في مؤسسة وجب أن يكون الفرد فيها حرا كي يعيش باستقرار يمكن أن نعتبره رحلة للكشف عن عوالم الذات في مجتمع له أركانه ثابتة.[3]

- المسكوت عنه جنسيا:

يلقى موضوع الكتابة في الجنس في الساحة الأدبية الجزائرية نوعا من الجدل في هذه الكتابة، لاعتبار أنّ مجتمعنا لا يزال محافظا، ويبدي نوع من الرفض لهذه المواضيع.

تعد فضيلة فاروق من الروائيات القلائل التي تطرقت لتناول موضوع الجنس وكتابته بطريقتها الخاصة، وكثيرا ما هوجم أدبها بوصفه أدبا متمردا أو باعتبار رواياتها

---

[1] سوسن ابرادشة، المحكي الممنوع في روايات فضيلة الفاروق، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، أدب جزائري، كلية الآداب واللغات، جامعة سطيف، 2013-2014، ص64.

[2] المرجع نفسه، ص65.

[3] المرجع نفسه، ص71.

تحكي عن الممنوع الذي لا يجب حكيه[1]، « لأن رواياتها تحمل هذا النوع الممنوع من الحكي بالمسبة للذائقة القارئة في الجزائر، التي لم تتعود هذا الحكي الذي يخالف ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم، فالروائية لجأت إلى ألفاظ ومفردات جنسية بارزة في رواياتها خاصة رواية اكتشاف الشهوة وما احتوته من قاموس الجنس من بينها ما ورد فيها: بين ليلة وضحاها أصبح المطلوب مني أن أكون عاهرة في الفراش، أن أمارس الجنس كما يمارسه هو، أن أسمعه كل القذارات، أن أمنحه مؤخرتي ليخترقها بعضوه»[2]، فهذه المفردات تنتمي إلى هذا القاموس الجديد على المجتمع الجزائري.

وترى الكاتبة أنّ تحرير المرأة يبدأ من تخطي الحدود التي وظفتها ذهنية الرجل، وماضوية الثقافة البطريقية القامعة التي لا ترى المرأة إلا جسدا، ولا تؤمن بها روحا وإبداعا.. وانطلاقا من هذا فإن رواية اكتشاف الشهوة جاءت لتحكي واقع المرـــة المأزوم في صراعها مع الآخر المتشبع بثقافة استعلائية سائدة منذ أزمنة تجعل من المرأة كيانا ناقصا غير مؤهل.[3] فالكاتبة ترى أنّه لا بدّ من تحرير المرأة من كل الحدود التي رسمها لها الرجل وألزمها بعدم تخطيها، فهذا الرجل الذي لا يرى المرأة إلا مجرد جسد يشيع رغباته الجنسية، ناهيك عن جانبها الروحي والإبداعي.

إنّ الجنس في كتابات فضيلة الفاروق عبارة عن رؤية متنامية ومتشبعة، يأخذ هذا الموضوع حيزا لا منتهيا من خلال تموضعه في مكونات الحكي، حتى يبدو أحيانا شموليا، إذ من بؤرته تتفرغ وتتكون عوامل الحكي ومكوناته[4].

فالجنس إذن في روايات فضيلة الفاروق عبارة عن رؤية واضحة متنامية، فهذا الموضوع أخذ حيزا كبيرا في جانب الحكي عند الكاتبة الجزائرية، فقد عدّ بؤرة أو تيمة تفرعت عنها عناصر الحكي ومكوناته.

---

[1] سوسن ابرادشة، المحكي الممنوع في روايات فضيلة الفاروق، ص173

[2] المرجع نفسه، ص175.

[3] المرجع نفسه، ص181.

[4] المرجع نفسه، ص182.

فالجنس حسب الكاتبة عبارة عن متنفس يفرغ فيه الانسان كل رغباته وشهواته، وفي رواياتها وخاصة اكتشاف الشهوة التي أثارت جدلا لدى الذائقة القارئة الجزائرية لما حملته من مفردات وصور جنسية مخالفة لما اعتاد عليه القارئ في الثقافة الجزائرية.

- المسكوت عنه سياسيا:

تطرقت الروائية فضيلة الفاروق إلى ما هو مسكوت عنه في الجانب السياسي في رواياتها، وأهم موضوع كان له التأثير البارز في رواياتها هو موضوع الإرهاب وبشاعة أفعاله المخربة للبلاد أثناء سنوات الجمر« فالإرهابيون كانوا أعداء الثقافة والفن والعلم، يقتلون كل من له صلة بتلك الأمور الضالة، لذلك طالت موجة تهديد الجميع من مثقفي البلاد في تلك الفترة، أقول في رواية "مزاج مراهقة":

قلت له: هذا يعني أنّك تلقيت تهديدا فعلا؟

قالت بهدوء من لم يتلقى تهديدا في هذا البلد؟»[1].

فالإرهاب إذن هم عبارة عن جماعة مسلحة تكون ضد الحكم تخلق حالة من اللااستقرار في البلد، فهم أعداء أبناءها المثقفون، وحتى ضد الفن والعلم فوصلت بهم المواصل إلى تهديد الجميع في البلاد وشتت شملهم وجعلتهم يعيشون في حالة من الرعب والخوف الدائم، فقد قتلوا الآلاف ويتموا الآلاف كذلك.

تقول الكاتبة في رواية تاء الخجل: وحين بلغت موجة اغتيالات الصحفيين ذروتها أدركنا جميعا أنّ باب الحديد الذي نغلق يه مقر الجريدة لن يحمينا مادمنا متشتتين.. أظن أننا شيئا فشيئا توحدنا بعد أن قتل اثنان منا وفرّ بعضنا إلى فرنسا ولندن ودول عربية[2]. فالإرهاب نكّل واغتال العديد من الطبقة المثقفة خصوصا، لأنها الأدرى بهم، فهذا ما جعل تلك الجماعات المسلحة يشتتونهم ويهجرونهم إلى بلدان أخرى غصبا عنهم، ولم ينحصر في هذه الطبقة فقط بل تعداها إلى النساء وفعل المنكر وحتى القتل واغتصابهن، فهم

[1] سوسن ابرادشة، المحكي الممنوع في روايات فضيلة الفاروق، ص129.

[2] المرجع نفسه، ص128.

وحوش الغابة المفترسون، هكذا وصفتهم فضيلة الفاروق في رواية تاء الخجل وما حملته من معاناة المرأة مع الإرهاب.«ثم أشارت إليّ أن أسكت وواصلت الحديث: هل تعرفين ماذا يفعلون بنا؟ إنّهم يأتون كل مساء ويرغموننا على ممارسة العيب وحين نلد يقتلون المواليد، نحن نصرخ ونبكي ونتألم وهم يمارسون العيب، نستنجد نتوسل لهم نقبّل أرجلهم ألا يفعلوا ذلك لكنهم لا يبالون»[1]. هكذا إذن فهؤلاء الأشخاص عبارة عن وحوش مزّقت أجساد الجزائريات بسنوات الجمر، وطرحت الروائية كل هذه الأفكار في قالب روائي يحاكي الواقع آنذاك، ولتبرز معاناة الشعب الجزائري في تلك الفترة الدامية الشاهدة على تلك المجازر التي جسّدتها الروائية في شخوص روايتها، فكل شخصية مثّلت طبقة معينة في المجتمع، وهذا ما جعل روايتها تجسّد المسكوت عنه في المجتمع الجزائري.

2- المسكوت عنه في النص الروائي التونسي:

يعد النص الروائي التونسي هو الآخر كغيره من النصوص الروائية العربية التي نزلت للواقع المعيش، وحملت كل مشاكله وكل آماله وطموحاته، وتعتبر رواية " ومن الضحايا" (1956م) لمحمد العروسي المطوي أول رواية تصدر بتونس بالمعنى الأوربي للكلمة ونزعتها تاريخية ومصطنعة للشكل التقليدي الأوربي من حيث الوصف وتقديم الشخصيات وسرد الأحداث سردا منظما في الزمن[2]. فهذه الرواية اعتبرت أول رواية تونسية بالمعنى الذي تحمله الرواية الأوربية، من ناحية النزعة التاريخية ومن ناحية شكلها التقليدي الأوربي، وذلك من ناحية الطريقة التقليدية في طريقة تقديم الشخصيات وسرد الأحداث.

«وقد تكرست الواقعية النقدية باعتبارها اختيارا أدبيا في الرواية التونسية خلال الستينات والسبعينات، ومن روايات هذا الاتجاه: الرحيل إلى الزمن الدامي(1981)

---

[1] سوسن ابرادشة، المحكي الممنوع في روايات فضيلة الفاروق، ص127.

[2] ينظر حياة لصحف، جماليات الكتابة الروائية، دراسة تأويلية تفكيكية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه شعبة النقد الأدبي المعاصر في المغرب العربي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2015-2016، ص 05.

لمصطفى المدايني، و"ن" (1983) وأعمدة الجنون السبعة (1985) لهشام القروي، و"النفير والقيامة" (1985) لفرج الحوار، و"مراتيج" (1985) و"تماس" (1995) لعروسية النالوتي، و"توقيت البنكا (1992) لمحمد علي اليوسفي. ولعل اهم رواية تونسية حققت شهرة مغاربية وعربية وكانت منطلق النزعة الجداثية ومرجعها ومأزقها هي "حدّث أبو هريرة قال" لمسعود المسعدي[1]».

وقد تطرقت الروايات التونسية إلى المواضيع المعاصرة المرتبطة بتطور الرواية ومواضيعها الجديدة، فهي أيضا تناولت مواضيع المسكوت عنه على غرتر الروايات العربية الأخرى، ويمكن أن نأخذ نموذجا كان له صدى في تونس من خلال ما تطرقت إليه من مواضيع حساسة مسّت المرأة بصورة خاصة.

أ- رواية "عذراء خارج الميزان" للروائية التونسية فاطمة الشريف:

فهذه الرواية تناولت موضوع المسكوت عنه، وذهبت إلى بعيد من خلال التيمات التي تناولتها في هذه الرواية وهي الأنوثة، العذرية، وخطيئة المحظور.

«يندرج الحديث عن تيمية العذرية ضمن المسكوت عنه في البيئة العربية الإسلامية، إذ يعد من المحرمات التي ينهى عن الخوض فيها، لأنّ في ذلك خدش للحياء واطراحا للحشمة، واختراقا للمحظور وخاصة أنّ العذرية تقترن بقيمة جوهرية في المنظومة الأخلاقية العربية الإسلامية وهي الشرف، بذلك نلمس نوعا من التهيّب من قبل الكتّاب لطرهها في نصوصهم الإبداعية خشية ارتكاب المحظور، ومن ثم السقوط في الخطيئة».[2]

تعد البيئة العربية بيئة محافظة وملتزمة بالدين الإسلامي الذي ينهى عن التطرق لموضوع العذرية، لانّ التكلم في هذا الموضوع عبارة عن خدش للحياء لدى المرأة وحشمتها، لأنها ترتبط كل الارتباط بالمنظومة الأخلاقية عند المسلمين.

---

[1] ينظر حياة لصحف، جماليات الكتابة الروائية، دراسة تأويلية تفكيكية، ص 08.

[2] بوشوشة بوجمعة، الرواية النسائية التونسية، المغاربية للطباعة والإشهار، 2009، ص60، 61.

عمدت الروائية التونسية فاطمة الشريف إلى طرح هذا الموضوع في روايتها "عذراء خارج الميزان" والتي «طرحت فيها تيمة العذرية وواقعها وتبعاتها في المجتمعات العربية المعاصرة متخذة من المجتمع التونسي نموذجا دالا عليها، في جرأة اطرحا إيهاب الحشمة لكي تعري كل ما يتصل بهذه المسألة»[1]. فقد تناولت الكاتبة تيمة العذرية، واتخذت من الواقع التونسي نموذجا لهذه التيمية مع جرأة في طرح الموضوع.

وملخص روايتها أنّها حول هذا الموضوع الذي طرحته من خلال نموذجين من المرأة المثقفة ونظراها لهذه التيمية، فالأولى الأستاذة سعيدة، أستاذة في الريف، لكن تعرت كل العري من الريف وتقاليده وعاداته لتفتح لنفسها باب التمتع وتحقيق شهواتها مع الرجال في المدينة، لكن عندما سألتها صديقتها الأستاذة عائشة عن فقدانها لعذريتها قبل الزواج فأجابتها بأنّ الطب تقدّم ويمكنها وضع بكارة قبل عرسها. أما النموذج الثاني فهي الأستاذة عائشة وهي أستاذة من الريف لكن تعمل في المدينة، وهي امرأة على عكس الأولى، فهي نموذج للمرأة التي حافظت على عذريتها من وحوش المدينة، ولم تتعرّ من قيمها الريفية وعاداتها وتقاليدها.[2]

سألها صديقها محمد:

هل أنت عذراء بعد؟!

شعرت بصعقة قتلت كل مشاعرها ورغباتها وحولتها من أنثى هادئة إلى ثور هائج...

قال بلهجة الواثق:

لا أظن أنك لازلت عذراء فعمرك ثمان وعشون سنة.

قاطعته في حدّة:

إذن لم تصدقني عندما قلت لك أنّه لم تكن لي علاقات؟

قال وكـــأنّما أحسّ بخطورة ما صرّح به:

---

[1] بوشوشة بوجمعة، الرواية النسائية التونسية، ص61.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص61.

صدقتك لكن يبدو أنّك مثقفة ومتعلمة وما أظنك تعتقدين في مثل هذه التقاليد البالية التي أكل عليها الدهر وشرب.[1]

ب- رواية "المصب" للروائية التونسية شادية القاسمي

شادية القاسمي هي إحدى الروائيات العربيات اللاتي برزن في الساحة الأدبية الروائية من خلال كتاباتهن النابعة من صلب المجتمع الذي يعشن فيه، فرواية " المصب" هي« رواية تنهل من الهامش الاجتماعي وتلتقط حكاياته ويومياته وتفسح المجال لضحاياه للحديث عن تجاربهم وهي محالة لاستنطاق المسكوت عنه،. لعل أبرز سمات سرد الهامش إفساح المجال للشخصيات المعدمة المنبوذة والمتحررة من سلطة المجتمع وأقنعته للتكلم، ولعلها محاولة إيهام من الروائي ليتمكن من نقل الخطابات الممنوعة».[2]

فرواية المصب رواية مبنية على الهامش الاجتماعي، أي ما يمس المجتمع من تهميش في فئاته ومجالاته، فهي رواية فتحت المجال للشخصيات التي لا صوت لها في خضم الطبقات الحاكمة والمتسلطة، فهذه الرواية تبرر ما هو مسكوت عنه في المجتمع، وتحاول الروائية من خلال هذه الرواية نقب خطابات متعددة، لا يمكن الإفصاح عنها بحرية كاملة في ذلك المجتمع.

وأظهرت الروائية صور التهميش وما هو مسكوت عنه من خلال شخصيات هذه الرواية من خلال تولي الشخصية الرئيسية «وهي امرأة تنحدر من عائلة فقيرة تشتغل في المصب وتتزوج سكيرا معدما... وهكذا تحملت هذه الشخصية البائسة مهام السرد فكانت الفصول سرد ووصف لحياتها اليومية ومأساتها بلا أقنعة: "أواصل طريقي إلى عمل قار

---

[1] بوشوشة بوجمعة، الرواية النسائية التونسية، ص 62.

[2] رياض خليف، كتابة الهامش في رواية "المصب" للتونسية شادية القاسمي، مقال نشر: 8 يوليو 2016، www.alquds.c.o.uk اطلع عليه: 2020/03/10، الساعة 21:40.

لم أجد غيره... أهرع كقطة إلى المزابل أبحث عن قوت... كرهت قذارتي... كرهت الأشياء من حولي».[1]

تبرز الروائية هنا العذاب الذي تعيشه هذه المرأة وما ينجم عنه من حياة بائسة لا طعم فيها، فالفقر من جهة، والزوج السكير من جهة أخرى، والعمل الشاق من جهة أخرى « على هذا النحو من البوح والاعتراف ترحل بنا الساردة طارحة علينا ذاكرة عمر من العذاب والحطام ومحطات مأساوية مع الأماكن والأشخاص متنقلة بين بيت والديها القصديري ومسكن زوجها الجماعي وبين أحداث العنف والموت وحوادث القتل والنتحار والموت المفاجئ»[2]. فهذه الشخصية إذن مجرد نموذج للمرأة وما تعيشه من عذاب وقسوة الحياة عليها، بالإضافة إلى العذاب الذي تتلقاه من الزوج والمجتمع. فالروئتية هنا أرادت أن تبرز ما هو مسكوت عنه لدى المرأة التونسية والعذاب الذي تلقاه.

وتحاول الروائية أيضا الولوج إلى أغوار المجتمع والهامش الذي ينطوي عليه في مختلف المجالات، فقد ذهب إلى تصوير الفضاءات الهامشية " من مدن وقرى صغيرة ومساكن بائسة ومجالات محرمة وغير ذلك... ومنها الحي الشعبي الفقير وهي حالة أحياء كثيرة في المدن التونسية نشأت على هامش التحولات الاجتماعية وحركة النزوح نحو المدن وأصبحت تشكل تراكمات سلبية في أغلب المدن بما تفرزه من واقع معيش صعب وما تمثله من أوضاع مزرية لأنها تتشكل من أشخاص ذوي وضعيات اجتماعيات صعبة.[3]

فهنا الروائية تصور واقع الأحياء الشعبية في تونس، فهي أحياء شعبية فقيرة، ظهرت في المدن، ويعد سبب ذلك النزوح الريفي إلى المدن، فهذا النزوح تسبب في ظهور آفات اجتماعية، ومظاهر غريبة عن المدن، وصعوبة العيش فيها، باعتبار أنّ هذه

---

[1] رياض خليف، كتابة الهامش في رواية "المصب" للتونسية شادية القاسمي، مقال نشر: 8 يوليو 2016، www.alquds.c.o.uk اطلع عليه: 2020/03/10، الساعة 21:40.

[2] المرجع نفسه.

[3] المرجع نفسه.

الأحياء يعيش فيها طبقة من المجتمع وهي الطبقة الهشّة والتي تلقى صعوبات جمّة ووضعيات كارثية بسبب صعوبة العيش هناك.

يعد المصب فضاء هامشي وهو «مصب الفضلات وهو الفضاء الذي تحول في السنوات الأخيرة إلى مصدر رزق لعائلات كثيرة منتمية لهذه الأحياء الشعبية الفقيرة، حيث يشتغل الكثيرون بالبحث عما تجود به هذه المصبات من أشياء يمكن بيعها والحصول منها على مصدر رزق».[1]

فالمصب إذن بعد أن كان مصبا للفضلات أصبح مصدر لرزق الكثيرين الباحثين عن لقمة العيش يكل طريقة، فقساوة الحياة والمعيشة أدّت بهم إلى البحث عن أشياء يمكن بيعها والحصول منها على رزق، وهنا تظهر الروائية مدى صعوبة البحث عن عمل، وظاهرة تفشي البطالة في الأحياء الشعبية أدّت بالكثيرين إلى البحث عن مورد رزق في تلك المصبات المستعملة للفضلات، وهنا يظهر تردّي المستوى المعيشي للأفراد، فشخصيات هذه الأحياء تكون متصادمة مع الواقع وتعاني التهميش والرفض وهو ما نجده في شخصيات هذه الرواية المعدمة والفقيرة والتائهة في الحياة، وهي تعيش الفوضى والخصاصة والعنف والإجرام ومن بينها الساردة المنحدرة من عائلة فقيرة المتزوجة غصبا من سكير هو زوجها (كيمو) الذي كانت نهايته القتل عل يد زوجة أخيه حنان التي كانت تربطه بها علاقة محرّمة، والتي انتهت بدورها منتحرة في السجن، إضافة إلى حياة شقيقة الساردة التي عاشت الاغتصاب وبقية إخوتها الذين اختطفهم الموت في صراعهم مع لقمة العيش.[2]

---

[1] رياض خليف، كتابة الهامش في رواية "المصب" للتونسية شادية القاسمي، مقال نشر: 8 يوليو 2016، www.alquds.c.o.uk اطلع عليه: 2020/03/10، الساعة 21:40.

[2] المرجع نفسه.

3- المسكوت عنه في النص الروائي الليبي:

على الرغم من تأخر الرواية الليبية عن الرواية العربية، إلا أنّها قد عرفت تطورا كبيرا، على الرغم من تأخر الرواية الليبية عن الرواية العربية، إلا أنها قد عرفت تطورا كبيرا، ففي سنة 1961، صدر أول عمل بعنوان "اعترافات انسان" لـ محمد فريد سيالة، وفي منتصف الثمانينات، نشرت عدّة نصوص باعتبارها روايات لكنها تتصف بنزعة التقليد والفقر على مستوى الأبنية والتخيل عدا رواية "حقول الرماد" (1985) لـ أحمد إبراهيم الفقيه" التي تعد استثناء إلى حدود هذا التاريخ تقريبا، إنّها البداية الناضجة والمكتملة للرواية وتواصل الرواية الليبية بعد هذا النص تطورها"[1] وتجربتها وبخاصة من خلال روايات "إبراهيم الكوني" و"أحمد إبراهيم الفقيه" وكما نجد تجليات المسكوت عنه في بعض الروايات الليبية كما فغي رواية التبر لإبراهيم الكوني « التي تستند إلى فكرة الستر الذي إذا كشف تلاشت الأفكار التي حوله، فهو طغا بوقة منها رأس البناء الفكري الذي يقود إلى الإمساك بركائز البناء السردي، وهو سرد يدور حول علاقة المال بالشرف في ظل بيئة صحراوية شاحبة، تشير فيها زهور (الرقم) إلى حلول الربيع، وبالتالي الخصب والتناسل، فضلا ما يلمح به الرقم من رموز وإشارات جنسية مسكوت عنها، وما تعكسه الرؤيا والحلم من تلميحات إلى ما هو مسكوت عنه حيث يرتبط الشفاء بالجنون، والحلم بالرؤى الخفية، والبرق، بما هو خفي إذ تبدأ مع الأصيل المعركة، والغرباء بالأسرار، لذا أخفى السر عن العرافة وظلت قلوب الغرباء مأوى السر»[2]. «فالكاتب يحاكم الواقع على وفق نظرته للأخلاقيات المطروحة ويحاول أن يكشف جوانبها الخفية التي لا يريد أن يصرح بها مباشرة وإنّما يتركها تتكشف من وراء ستار خفي حتى تظل الرواية محتفظة بقوة تأثيرها النفسي أو السردي من خلال رقرية محكمة لعناصر البناء الفني وأبعاده

---

[1] ينظر حياة لصحف، جماليات الكتابة الروائية، دراسة تأويلية تفكيكية، ص 08.

[2] قيس كاظم الجناي، الواقع والمسكوت عنه في الرواية العربية المعاصرة، ص05.

الأخرى التي تتم ما خفي وتثير ما توضح بطريقة مثيرة ومغرية تجعل كتابة الرواية فنا خلّاقا بعيدا عن المباشرة والانحدار».[1]

ب- المسكوت عنه في النص الروائي المشرقي:

1- المسكوت عنه في النص الروائي السعودي:

تمثل الرواية السعودية في ظهورها الأول ضربا من الخيال في علم يسيطر عليه الشعر في جزيرة العرب وقد سارت بخطوات جادة وسريعة يمكن وصفها بوثبات الثقة[2].

أي أنّ ظهور الرواية في السعودية بهذه السرعة غير متخيل خاصة وأنّ الشعر كان مسيطر على الأمة العربية.

فالرواية السعودية كغيرها من الفنون النثرية الأخرى مرت بعدّة مراحل:

المرحلة الأولى: ويسميها الدكتور الشنطي مرحلة المخاض، ويشير إليها الدكتور القحطاني باسم الدواء، تمييزا لها عن مرحلة تالية أطلق عليها مرحلة "الريادة الفنية".[3]

شهدت هذه البدايات ظهور عدد من الأعمال شبه الروائية، ومن أبرزها التوأمان لعبد القدوس الأنصاري 1930 وفكرة 1947 لأحمد سباعي والبعث 1947 لمحمد علي المغربي.

«ويعد محمد علي مغربي أول كاتب سعودي وضع بين يدي القارئ السعودي عملا روائيا بمعنى الكلمة، بغض النظر عن قيمته الفنية».[4]

أما **المرحلة الثانية:** ويحددها الباحثون بعام 1959م، حيث صدرت رواية "ثمن التضحية" لحامد منهوري أبا الرواية الفنية في المملكة العربية، ويبرز في هذه المرحلة أديب آخر وهو إبراهيم الناصر الذي استطاع مع دمنهوري أن يعدّل مسار الرواية السعودية، وقد

---

[1] ينظر: قيس كاظم الجناي، الواقع والمسكوت عنه في الرواية العربية المعاصرة، ص5، 6.

[2] عزيز لطيف ناهي، التابوهات المحرّمة الرواية السعودية (الجنس، الدين، السياسة)، ص176.

[3] محمد صالح الشنطي، الأدب السعودي الحديث، دار الأندلس حائل، 14هـ، 19م، ص499.

[4] سلطان بن سعد القحطاني، الرواية في المملكة العربية السعودية نشأتها وتطورها 1920-1979، دراسة تاريخية نقدية 1988، ص79، 84.

شهدت هذه المرحلة العديد من الكتّاب والكاتبات مثل هند صالح باغفار وعائشة زاهر أحمد، هدى الرشيد، عبد الله جمعان، حمزة أبو الفرج وغيرهم[1].

أما في **المرحلة الثالثة:** شهدت مجموعة من الكتّاب والكاتبات مثل: محمد عبد يماني وسلطان سعد القحطاني... وغيرهم، ولقد شهدت فترة الثمانينات في القرن العشرين تحولا كبيرا في الحياة السعودية...التي انعكست على سائر الفنون الأدبية، وبخاصة فن الرواية... وتعتبر روايات هذه الفترة مرآة عكست اتجاهات كتّابها وخلفياتهم الثقافية، ومن الضروري في هذا المقام أن نعرض تحليل أحد الأعمال الروائية، وقد تعرّض الدارسون لتحليل الكثير منها.[2]

أي أنّ الرواية السعودية ظهرت فجأة بعدما كان الشعر مسيطرا عليها وفي نشأتها مرّا بثلاث مراحل المرحلة الأولى والتي كانت في الثلاثينات (1930) أما المرحلة الثانية وهي في سنة (1959–1979) ويحدده الباحثون سنة 1959 أما المرحلة الثالثة فهي فارة الثمانينات التي شهدت تحولا كبيرا في الحياة السعودية سنة 1980.

أ- تابو الجنس في الرواية السعودية:

تجلى الجنس بكثرة في الروايات السعودية حيث نجد في رواية "غدا أنسى" لأمل شطا قدّمت في روايتها هذه نموذج المرأة الضحية وجلّادها. هو الرجل زوجا وأبا وخامعا في جسدها، الرواية من بدايتها إلى نهايتها تركّز على نموذج المرأة الضحية أو كبش الفداء وتصوّر الرجال الظالمين في أسوء حالات الظلم والتجني على المرأة أنّ هذا الوعي السردي النسائي تجاه كون المرأة ضحية والمتوازنة في تقبل مصيرها والصبر على الأسى والظلم وهو ظلم ناتج عن عدم أخطاء في حيوات هؤلاء النساء الجميلات بأنّه نابع

[1] سلطان بن سعد القحطاني، الرواية في المملكة العربية السعودية نشأتها وتطورها 1920-1979، ص77.

[2] المرجع نفسه، ص172.

من اعمد الظلم المغروس في نفوس الرجال بصفتهم يتعمدون ظلمهم (وايذائهن رغم اخلاصهن وعفّتهنّ) النساء لأنّ الله تعالى يمهل ولا يهمل.[1]

وضّحت أمل شطا أهمية المرأة في المجتمع إلّا أنّها الضحية، وأنّ الرجل طامع في الجسد وشبهتها بكبش الفداء وليس لها الحق في تحديد مصيرها وحريتها ومع ذلك تصبر على كل شيء «إنّ فكرة المرأة الضحية الأولى للرجل تحضر بوعي نسوي لافت في هذه الرواية ولعلّ منبع هذا التجبر والوحشية في شخصية الرجل اتجاه المرأة يعوج إلى شهوانيته وشكوكه وما يمارسه من منكرات كالسكر والعربدة، في حين تمثّل المرأة الطيبة الجميلة الشريفة المخلصة في أسرتها وبيتها وضحية بامتياز لأنّها لا تملك أظافر اللبوة ومكر الثعلب وألاعيب الشيطان»[2].

كشفت الروائية أمل شطا في روايتها عن أهمية المرأة في المجتمع وحثّت على معاملتها معاملة جيّدة ففي روايتها تعتبر ضحية وهي مجرد جسد أو فريسة للرجل يفرغ شهويته وهي آلة للمتعة بالنسبة له في حين هي للطيبة الجميلة المخلصة لأسرتها.

كما كشفت رواية " شقة الحرية" للدكتور غازي القصبي عن الجانب الجنسي في السعودية «وأنّ المجتمع السعودي مجتمع فيه خير وشر وفيه فرح وترح، وفيه أغنياء وفقراء كما أنّه فيه شهوات مستبدة وعالم آخر خفي أو مخفي لا يماثل أبدا ما هو ظاهر ومعلن... فكان القصبي هو أول روائي يكتب عن المسكوت عنه وهو أول من عرى المجتمع ومارس الحرية في شقة فهو أول من كسر التابو».[3]

أي أنّ القصبي هو أول من كتب في المحكي الممنوع في الرواية السعودية، وكشف عن شهواتها الجنسية التي لا يتاح للمجتمع السعودي الحديث عنها وهو كسر الحاجز،

[1] عزيز لطيف ناهي، التابوهات المحرّمة الرواية السعودية (الجنس، الدين، السياسة)، ص179.
[2] المرجع نفسه، ص179.
[3] المرجع نفسه، ص182.

ووضّح أن السعودية يوجد فيها الخير والشر، كما أنّه مجتمع ذو شهوة إلا أنّها خفية وغير معلنة.

فهذه الرواية "**شقة الحرية**" «تحكي قصة مجموعة من الشبان، مختلفي التوجهات والأفكار يسكنون معا في القاهرة أثناء دراستهم الجامعية هناك، وتفصّل الرواية حالة التيارات الفكرية لدى الشباب العربي في الفترة الملتهبة من التاريخ العربي، كان القصبي فيها جريئا في تصوير الشغف الجنسي والارتباك العاطفي والجسد الأنثوي، وجريء أيضا في اكتشاف الرجل العربي الروحي».[1]

فالقصبي في روايته تحدّث عن مجموعة من الشبان كانوا يدرسون في القاهرة، فتحدث بكل شفافية عن الشباب، وكان جريئا في تحدثه عن الجنس والشغف والجسد الأنثوي أي تحدّث عن ما هو ساكت عنه المجتمع خاصة المجتمع السعودي.

فالقصبي «دخلنا عنوة وبدون تهية نفسية أو فكرية للمواجهة العنيفة مع الذات ومصارحتها والحديث عنها وإزاحة تلك الغلالة الشغافة الحاجبة وكسر الجليد المانع من تدفق الماء في الجدول بدأه غازي القصبي بحديث بين السيرة والقص والواقع والخيال، والتاريخ والأحلام، فدفع بطله (فؤاد الطارق) إلى أن يقوم ويسرف في القول وإلى أن يجرأ على قص كثير مما كان قبل محرما وصعبا وشاقا على النفس قبل أن يكون ثقيلا ومصادما للمجتمع نفسه».[2]

أي أنّ القصبي في روايته " شقة الحرية" قد كسر تابو الجنس وتحدّث عن كل ما هو محظور وممنوع في المجتمع وكانت لديه جرة قوية في تحدّثه عن الجنس حتى أنّه لم يهيء للنفس عن الصدمة التي سوف تتلقاها عند قراءتها للرواية، حيث أنّه يدفع ببطل روايته للحديث عن المحرّمات، يصدم النفس، ويصدم المجتمع بحدّ ذاته.

---

[1] عزيز لطيف ناهي، التابوهات المحرّمة الرواية السعودية (الجنس، الدين، السياسة)، ص182.

[2] المرجع نفسه، ص183/182..

«من أهم المحظورات التي تنتهكها الرواية السعودية، اعتناء بتفاصيل الجسد الأنثوي وبالعلاقة الجنسية الحميمة، والعلاقة الجنسية المرغوبة، في رواية لم أعد أبكي تقول "ضمني إليه وأخذ يتحسس جسدي، تمادى أكثر، فرأى أنّ أصابعه بين فخذي، اطلعت إليه مغتبطة ظل على هذه الحال دقائق معدودة، غاب سواد عينيه، أخذت ساقاه ترتجفان، تراخت بعدئذ قواه، أحسست بسائل دافئ يبلل ثوبي قلت له ببراءة لقد تبولت على نفسك يا زيد"»[1].

أي أنّ الرواية السعودية كسرت كل التابوهات المحرّمة من سياسة ودين وجنس، وقد انتهكت هذه الأخيرة فاهتمت بالجسد الأنثوي والعلاقة الحميمية بين الذكر والأنثى كما في رواية "لم أعد أبكي" فهي كسرت الحاجز في المجتمع السعودي وتجاوزت العادات والتقاليد السعودية.

ب- تابو الدين في الرواية السعودية:

إنّ الرواية السعودية لم تحقق كسرا فعليا لهذا النوع بشكل مباشر إلّا أننا نجد روايات كسرت هذا التابو فمثلا نجد رواية "القرآن المقدّس" للطيف الحلاج التي«تتعرض إلى منظومة محرمات لا تسمح السلطة بالاقتراب منها وهي الجنس حتى في حدوده المشرّع لها في الكتب المقدسة والسلطة بأنواعها العائلية والثقافية والتاريخية، والتكوينات التقليدية القبلية، والمسجد والدين الذي تم دمجه مع التقاليد والأساطير».

إنّ سلطات الاستبداد تستغل الذاكرة الجماعية المرعوبة أو المتحفظة من سلطة الأسطورة والتحدث أيضا عن قمع طائفي وديني وسياسي.[2]

أي أنّ الروائية طيف الحلاج في روايتها تحدثت عن الجنس والذي هو في ديننا من المحرمات وتحدثت بكل جرأة وحاربت العادات والتقاليد، كما أنّ طيف الحلاج تقصد هذه

---

[1] محمد صالح البوعمراني، اختراق المحظور في الرواية العربية بين الحداثة الإبداعية والحداثة الاجتماعية، جامعة قفصة، تونس، ديسمبر 2014، ص7.

[2] عزيز لطيف ناهي، التابوهات المحرّمة الرواية السعودية (الجنس، الدين، السياسة)، ص 185.

اللغة التي تلعب دور المعادل الموضوعي للقمع والكبت والحرمان والمرج، فليس غير انتهاك اللغة ما يجعل الواقع قابل للسيطرة بل هو نوع من تحدي بربرية المؤسسة الدينية بضربها في نقطة عريها وضعفها وزورها.[1]

أي أنّ طيف الحلاج في روايتها تجلى المسكوت عنه ديني فهي تحدثت عن المقموع عنه في مجتمعنا بكل جرأة.

ج- تابو السياسة في الرواية السعودية:

إنّ أغلب الروايات المعنية بالحدث والخطاب السياسي في السعودية تلهج بمفردات الحرية والسجن والوطن كما نجد «أبو حسان بطل رواية "طوق الطهارة" لمحمد حسين علوان، فهو مجرد مناضل أخرس من المؤلفة قلوبهم، المنكسرة أقلامهم، كما يعتبر هاشم العابر بطل ثلاثية تركي الحمد "أطياف الأزقة المهجورة" مثالا للوعي المنشق على نفسه، وتلعب الفضية دور البطولة في روايته التي تكشف دهاليز حياة السجون وخفايا التنظيمات السياسية وقد تعرّض الحمد للتكفير بسبب ما ورد فيها من اقتحام لتابوهات الجنس والسياسة»[2].

كما ترفع الروائية بدرية البشر في روايتها "الهند والعسكر" و"الأرجوحة" شعار (لا) معترفة أنّ مهنة الكاتب في صناعة القلق دفعا إلى تغيير مفهوم الحرية وتواجد تقاليد المجتمع البالية وثقافة غسل الأدمغة.[3]

أي نجد أن الروائيين محمد حسن علوان وتركي الحمد وبدرية البشر قد تجلى في رواياتهم المسكوت عنه من خلال الحث على الحرية واكتشاف ما كان مسكوت عنه في التنظيمات السياسية.

---

[1] عزيز لطيف ناهي، التابوهات المحرّمة الرواية السعودية (الجنس، الدين، السياسة)، ص185.

[2] المرجع نفسه، ص 189.

[3] المرجع نفسه، ص189.

2- المسكوت عنه في النص الروائي المصري:

تعتبر الرواية المصرية على حد تعبير الكثيرين أنّ لها الأسبقية في نشأة الرواية العربية حيث «لا يشك قارئ "الحب في حياتي" لـ "الدكتور رشاد رشدي" التي نشرت تباعا في مجلة (الجديد) أن الرواية العربية قد بدأت بهذا العمل وروايات أخرى مشابهة تتجاوز مرحلة الرصد التقريري المباشر»[1].

والحديث عن الرواية المعاصرة لا حدود له، وكما نذكر على سبيل المثال أسماء كالنجوم في سماء الأدب وأبرزها المنفلوطي، الرافعي، طه حسين، نجيب محفوظ، محمد حسين هيكل، توفيق الحكيم، العقاد، سهيل إدريس... ولكل اسم أعمال روائية أخذت حقها من الدرس والنقد.[2]

فرواية الدكتور رشاد رشدي "الحب في حياتي" تعتبر باب الرواية العربية، وبعدها ظهرت أسماء روائية كان لها الأثر البارز في الرواية المعاصرة.

وقد تناولت الرواية المصرية موضوع المسكوت عنه، ونلاحظ ذلك خاصة في روايات نجيب محفوظ وروايات إبراهيم أصلان في روايته "عصافير النيل" فقد تحدّث عن المسكوت عنه سياسيا حيث «يرى إبراهيم أصلان العلاقة بين السلطة والمسكوت عنه في روايته عصافير النيل التي تدور في حب (أمبابة) الشعبي الذي تختلط فيه القاهرة بالريف، أو بين الأعلى والأدنى عبر استخدام الحوار العامي كوسيلة لاستنهاض المفارقة الساخر كنوع من الاحتجاج ضد الواقع حينها يزيح الواقع حرية السرد، ويفجر الحوار العامي المكثّف لكي يعبّر عن ملامح الرفض ضد ما هو سائد ومسلّم به، بوصف ذلك نوعا من أنواع الثورة الخفية ضد المألوف، وهي ثورة مسكوت عنها، تخافي وراء البناء الروائي، الذي ينساح على أرض متموجة مشحونة بالتمرد، كما في إجابة أحد (الأولاد) عن سبب بناء الفراعنة للأهرامات، حيث قال:" هم بنوا علشان يدخنوا حضرة الناظر" لأن الناظر

---

[1] ماهر شفيق فريد، قصّ يقصُّ، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2004، ط1، ص 34.

[2] ينظر حياة لصحف، جماليات الكتابة الروائية، دراسة تأويلية تفكيكية، ص 20.

بنظر التلاميذ يمثل السلطة أو الأنموذج المتسيد الأكبر، لذا جاء السرد على رغم سكونيته مشحونا بحوارية خاصة تمور في الداخل بوصفها كشفا لما يتململ في الأعماق من أفكار مسكوت عنها كما هي حال (البهي عثمان) الذي رفع تظلما استطاع أن يوصله إلى الرئيس جمال عبد الناصر، وبقي ينتظر ردا –بالطبع إيجابا– كي يعود إلى الوظيفة، لكن عبد الناصر مات فجأة وضاعت آماله، فقد جرى التلميح لما هو مسكوت عنه بضربة سريعة وخاطفة، ولكنّها تحمل تحذيرا مبطنا لمن يعلق آماله على الأشخاص».[1]

3- المسكوت عنه في النص الروائي العراقي:

تعتبر الرواية العراقية كغيرها من الروايات العربية التي عالجت مشاكل المجتمع، فالرواية كانت المتنفس الوحيد للأدباء العراقيين، وقد مرت الرواية العراقية بثلاث مراحل أساسية حيث أنّ «المرحلة الأولى للرواية العراقية كانت علي محمود أحمد السيد (في سبيل الزواج 1921، مصير الضعفاء 1922، جلال خالد 1928)، وزيادة عدد الإصدارات الروائية عام 1975 إلى 25 رواية فقط وفق تقرير عبد الإله أحمد، وهو نمو بطيء لكنه ثري بالأعمال الجيدة حتى ظهور المرحلة الثانية، وهي نكسة الرواية العراقية مع بدء الدكتاتورية وقيام الحرب مع إيران عام 1980، وبداية الرواية التعبوية الزائفة، والمرحلة الثالثة وهي الأهم التي بدأت ما بعد الاحتلال الأمريكي عام 2003».[2]

أي أنّ الرواية العراقية في بداياتها كانا بطيئة رغم أنّها كانت ثرية «كما أنّها سنة 2003 إلى 2014 سجّل الباحث نجم عبد الله في كتابه "فهرست الرواية العراقية" نشر أكثر من 470، وهو عدد يشير إلى انتشار ثقافة الكتابة الروائية في الوسط الأدبي والاستغناء عن مضمار الشعر الذي عرف به العراق».[3]

[1] قيس كاظم الجناي، الواقع والمسكوت عنه في الرواية العربية المعاصرة، ص05.

[2] مازن معموري، الرواية العراقية... التحولات والمنجز الثري، ص1، 2.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 2.

«إنّ دارسي الرواية العراقية يشيرون إلى بدايات تراثية ذات طبيعة مقامة تؤرخ للرواية العراقية منها "مقامات أبي الثناء الألوسي" الصادرة عام 1956، وكذلك نص أحدث هو "الرواية الايقاضية" لسليمان فيضي الصادرة عام 2019».[1]

فالرواية العراقية نشأة كغيرها من الروايات العربية، أي أنّ لها نفس ظروف نشأة الرواية في مصر ولبنان وسورية إلا أنّها كانت سباقة على الرواية العراقية.

أ- المسكوت عنه في رواية حنان الشيخ (حكاية زهرة):

كشفت الرواية العربية عن العديد من الأفكار التي يفترض المجتمع أن يسكت الكاتب عنها، لأنها تخدش حياء الانسان الواقعي «فقد نوهت الكاتبة العراقية إلى مناطق حساسة في التفكير والعقائد والعلاقات الإنسانية مما سكتت عنه الأعراف والتقاليد الاجتماعية».[2] كما في روايتها "حكاية زهرة" وفي هذه الرواية تحدثت حنان الشيخ عن المسكوت عنه المجتمع العراقي من جنس ودين.

ب- تابو السياسة في رواية "حكاية زهرة" لحنان الشيخ:

فهذه الرواية «حاولت رفع الغطاء عما تكنه المرأة من إحساس بالتمرد على الواقع، الذي يصادر حريتها فكشفت عن مراوغة المرأة للواقع وقيامها بإظهار الجانب الناصع من سيرتها أمام المجتمع، وهي في حقيقة الأمر تغرق في عفوية الواقع وزواياه المعتمة المريضة، من خلال استخدامها لتعدد الرؤى وإبقاء صوت المرأة (زهرة) قويا ومؤثرا للتعبير عن أزمة الحرية التي هي بالتالي أزمة واقع ومجتمع يعمل على استلاب حرية المرأة ودفعها نحو السرية».[3]

---

[1] فاضل ثامر، المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي، ص132.

[2] قيس كاظم الجناي، الواقع والمسكوت عنه في الرواية العربية المعاصرة، العراق، ص02.

[3] المرجع نفسه، ص 2.

حيث أن الرواية كشفت ما كان ساكت عنه في المجتمع، وهو موضوع المرأة والتي همشتها التقاليد والأعراف العربية، فالروائية حنان الشيخ رفعت الستار عن المرأة وأيقضتها بالمطالبة بحقوقها وحريتها التي سلبها منها المجتمع.

ج- تابو الجنس في رواية "حكاية زهرة" لحنان الشيخ:

فتتحدث حنان الشيخ عن "زهرة" التي تعرضت لعلاقات جنسية تدفعها نحو الحمل والإجهاض أكثر من مرة –مما يتنافى مع نظرة المجتمع إليها– حينما كانت توصف بأنّها "زهرة الراكزة التي لا تقول إلا القليل، زهرة الملكة كما أطلق جدي على هذا اللقب زهرة البيتوتية التي يحمّر وجهها بسبب وبلا سبب"، وهذا ما جعل الزوايا المعتمة هي مكانها الأثير فقد كان الحمام هو الذي جعلها تضيع في الزمان والمكان، ولأن القضية التي تناقشها الكاتبة صميقية بالواقع فإنّها اتّخذت السرد السيري في بناء الرواية حتى تستطيع السيطرة على الأحداث وتحتوي الأسرار المتورمة داخله التي سكت عنها المجتمع.[1]

[1] قيس كاظم الجناي، الواقع والمسكوت عنه في الرواية العربية المعاصرة، ص02.

الفصل الثاني

قضايا المسكوت عنه في رواية

"في بلاد نون"

أوّلا- الفجوة بين المدينة والريف في المغرب الأقصى

ثانيا- أصحاب أحداث الدار البيضاء ثوار أم عصاة

ثالثا- الضمير "هو" المسكوت عنه

رابعا- صور الفساد في الرواية

خامسا- أساليب السلطة في غلق الأفواه

سادسا- عيون السلطة المبثوثة هنا وهناك

سابعا- تعزيز النزعة القبلية والاهتمام باللغة الأمازيغية

ثامنا- تداخل الحاكمية العظمى في الأمور الدينية

تاسعا- ساحة جامع لفنا: لماذا تمحون ذاكرتي وتهجرون روّاتي

أولا: الفجوة بين الريف والمدينة في المغرب الأقصى

المدن في المغرب الأقصى كغيرها من المدن في ربوع العالم، تختلف عن الأرياف والقرى في كل شيء، **«فالمدينة تختلف في مظهرها وشكها الخارجي عن الريف وبها من التنظيم ما يفرق بينها وبين الريف»**[1]، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها لكن في بعض الدول أصبحت الأرياف والقرى شبه منسية في قطاع التنمية، **«رغم أن التكامل أمر ضروري بين المدينة والريف»**[2]، إلا أن ظاهرة تهميش الأرياف والقرى ظاهرة موجودة لا يمكن غض البصر عنها، وهذا ما أدى بالكثير من الكتاب والروائيين إلى التطرق لهذا الموضوع سواء بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة والمتمثلة في الكتابة عن ما هو مسكوت عنه في المجتمعات، فالرواية التي بين أيدينا تناولت هذا الموضوع فالروائي أحمد المديني حاول التطرق على ما هو مسكوت عنه في المجتمع المغربي، ابتداء من الهوة التي تزداد اتساعا بين المدينة والريف، وكيفية عيش الساكنة في الأرياف والقرى المنعزلة البعيدة كل البعد عن عجلة التنمية، فسكان بلدة نون دليل على ذلك، فهم **«حفاظا على وحدتها وانسجامها، لأي خلل من خرق هذا التدبير والانصياع لمن وضعه وسخره يخاف أهلها أن يجر عليهم غضبا، ربنا لعنة قد يكون مصدرها عقاب من الله وهم متدينون أو بتدينهم يتظاهرون، أو من الحاكم العام يرجفون لسماع إسمه، هو الموجود قصيا في حاضرة كبرى بعيدا جدا عنها، وأنى لهم بمقامها، وقريبا يلقي بظله على كل نسمة ونأمة فيها».**[3]

سكان هذه المدينة يخافون شديد الخوف على وحدتها وانسجامها، وأي خلل يحدث فيها لابد من عقاب عسير سواء من الله أو الحاكم الذين تصيبهم الرجفة من سماع اسمه، **«استكانت نفوسهم أن لا سبيل لهم لبلوغ الأدوات والهياكل المعقدة، فتلك موجودة في**

---

[1] أحمد علي إسماعيل، دراسات في جغرافية المدن، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 1988، ص27.

[2] المرجع نفسه، ص 29.

[3] أحمد المديني، في بلاد نون، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2018، ص 12.

المدن الكبرى هناك وفي العاصمة بالذات، حيث يقيم الحاكم المركزي وحاشيته وبطانته وسواهم من المنتنفذين الآخرين، وأمثالهم من قوم السمع والطاعة، ممن تحول بينهم الجبال والوديان، فليقتنعوا بما هم فيه هو خير لهم من طلب المحال».[1]

فالمدن الكبرى فقط هي التي تتميز بالأدوات والهياكل المعقدة، والمباني والشركات والمصانع وغيرها من المرافق، أما هذه البلدة ومثيلاتها فلابد لساكنتها الرضا بما هو موجود فيها فقط، فهي بين الوديان والجبال وليس للحاكم العام وحاشيته حاجة بها، فالبيوت فيها أشبه بما تكون جحورا كما اعتبرها الروائي:**«..مجموعة بيوت طينية هي مساكنهم، وطيئة قائمة وآيلة إلى التداعي، فكأنما صنعت على عجل من قش وقصب وتبن من وحل، لونها رمادي غامق، وتفتقد أي تنسيق، اللهم اصطفافا على جانب الطريق في تتال مستطيل، بحوش صغير في كل بيت»**[2]، فالمنازل في هذه البلدة تشبه ما كانت عليه المنازل قديما مبنية بالطين من دون أي اتساق، وهذا ما لا يتطابق مع الوقت الراهن، فبمقارنتها مع ما هو موجود في المدن الكبرى بالمغرب فهي لا شيء، وشتانا بين هذه وتلك، **«فخلف كل مجموعة مساكن توازيها وتفصلها عنها مساحة من ضيقها محجوزة بين مترين، هنا تتبعثر إما نفايات أو** برك صغيرة، مجمع بعوض وذباب»**[3].

وعندما نظرت أعين الحاكمية العظمى لهذه البلدة –بلدة نونة– المنعزلة المتقوقعة بين الجبال، أرسلت إليها مشروعا اعتبرته فضلا من عندها على تلك البلدة التي هي عبارة عن «**أرض جدباء، أسهم حمراء، ودجاج مصاب، ونفوق إبا جهماء، ومعيشة في غلاء، كله بلاء من رب الأرض والسماء**»[4]، فقد حاولت الحاكمية بهذا المشروع أن تؤكد للسكان بأنّها تهتم بهم، وهم في أعينها دائما، ودائما تكرمهم بعطائها اللا محدود «**ولا بأس أن نرسل إليهم في خربهم ومزابلهم وعشوائياتهم ما يسدون به نصف الرمق فقط، حتى**

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص13.

[2] المصدر نفسه، ص15.

[3] المصدر نفسه، ص15.

[4] المصدر نفسه، ص211.

لا يتطاولوا عليك وعلينا، فإنّ الشبع يورث الطمع»[1]. فهذا هو حال المناطق المهمّشة يرضون بالقليل، وحتى لو كان لا يسد الخمسة بالمئة من احتياجاتهم، رغم افتقارهم في هذه المنطقة لكل ما هو ضروري، المهم عندهم ألا يحل بهم أي عقاب ولو بدون ذنب من الإيالة العظمى، التي تسعى دائما أن تكون أفضل المرافق والشركات والمنشآت في مدنها الكبرى «**وبعد أن تحفر الطرقات وتنشأ المباني تعليها ما أمكن شريطة ألا تتفوق على ما في عاصمتنا أو ترتفع أعلى من صوامعنا وأضرحتنا، ومفاخر منشآتنا»**[2]، فهذا ما يكرس اتساع الهوة بين ما في المدن الكبرى والبلدات والقرى المنعزلة والبعيدة، وحتى وإن وضعت المشاريع في هذه المناطق، فهي بالتأكيد لها مرمى ومقصد بها. مثل المشروع الذي سلّم للمعلم المباركي «**قال إنّه جاء ليعبد الطريق، هنا الناس يحتاجون إلى الشغل، والمستشفى، وكساء فصل الشتاء، يقضم البرد عظامهم، وأنت تغني للطريق نهارا، وفي الليل تحفرون عميقا»**[3]. وقد طال التهميش ومسّ حتى تلك الفئة البريئة، حيث أنّ الروائي صوّر لنا هذه الفئة محرومة حتى من حافلات النقل المدرسي، وتعليم جيد، مقارنة بأقرانهم في المدن «**أراها تعبر أمامي سيارات النقل المدرسي متكاثرة، متتالية مثل قطار أو أسطول في الصباح ابتداءا من السابعة، وبعد العصر ابتداء من الخامسة، أكون جالسا عند سدّة بقال الحي، وعيني إلى الطريق العام، حيث تمر، فهي لا تدخل الأحياء الفقيرة، أبناء هذه الأحياء يذهبون مشيا على الأقدام إلى مدارس الحاكمية، هي في الحقيقة مدارس بشر فائض عن الحاجة هناك من سمّه الشعب»**[4]، فأبناء هؤلاء البشر الفائض كما سماه الروائي يدرسون في أقسام بكثافة عددهم، المهم عند الحاكمية أن يسموا بتلاميذ، لا عددهم في الأقسام يهمها، ولا طريقة تنقلهم إلى مدارسها، والأدهى والأمّر أيضا أنّ من يمرض من هذا البشر الفائض لا تأتيه سيارة الإسعاف، أو من يسعفه

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص211.

[2] المصدر نفسه ص20.

[3] المصدر نفسه، ص232

[4] المصدر نفسه، ص104.

«يجمعونهم داخل أقسام كالصناديق، أربعين، خمسين، ستين، المهم أن يحشروا داخل حجرة، إبني منهم، بينهم، لن تنقله أي سيارة، وممنوع عليه أن يتعرض لأي حادث، لن يحظر من أجله الإسعاف، لا أمه، لا أختي، لا أنا، لا أحد في حينا ينبغي أن يصاب، اللهم أن يموت، وحتى كلفة الموت كبيرة!»[1]. والذي زاد الطين بلّة في هذه البلدة والمناطق المجاورة لها، أنّها كانت مهدا للعديد من الانتفاضات الشعبية، والاحتجاجات الرافضة للنظام القائم في – المغرب – فضرب عليها الحصار «**أنا المرمي هنا في هذا الحي المنكوب، مجموع المنبوذين والعاطلين، والمحاصرين، كأنّهم في قطاع غزّة »**.[2]

فقد أصبح سكان بلدة نونة محاصرين بالكاد، ففي كل شبر فيها، توجد عين الحاكمية فيه بالرغم من أنّهم مجرد ساكنة عاد بينهم إلا أنّه لا أحد تعلو كلمته فوق كلمة الحاكمية العظمى، حتى أنّ البلدات المجاورة لهم أطلقوا عليهم اسم الكاظمين، وذلك لأنّ **«صار الصبر والعفو عند المقدرة عادة عندهم، والعجز بعدها فطرة فلا يكفّوا يستشهدون بمناسبة ومن دونها بالآية الكريمة** «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين» **مما جرّ عليهم من طرف القبائل والبلدات المجاورة لهم لقب الكاظمين»**[3]، فكل من يقنط في هذه البلدة أصبح يلقب بالكاظمي، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدل على السخرية منهم لتساهلهم مع كل الأمور، وغفلتهم والدهشة التي تنتابهم كلّما رأوا شيئا يخص الحاكمية أو سمعوا شيئا عنها، مثلما حدث لهم عندما رأوا معدات مشروع لمباركي لما وصلت البلدة «**فإنّهم خرجوا كلهم من جحورهم التي تسمى مساكن فوقفوا أمام أبوابها متعجبين، مندهشين، أفواههم فاغرة من أثر ما يرون ويسمعون»**[4]، فهؤلاء السكان لم يتعدوا على مشاهدة مثل هذه الآلات، والمعدات في المناطق المنعزلة والبعيدة، المحصورة بين الجبال والغابات، مقارنة بالمدن الكبرى التي استحوذت على كل

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 104.

[2] المصدر نفسه، ص105.

[3] المصدر نفسه، ص12.

[4] المصدر نفسه، ص13.

المشاريع، المصانع، الشركات... فالتهميش الذي يسود المناطق البعيدة والمنسية في رأي الروائي سببه الاهتمام والانحياز للمدينة، وترك البلدات والقرى والأحياء في خبر كان، فسكانها ما هم إلّا بشر فائض لا فائدة منه.

ثانيا: أصحاب أحداث الدار البيضاء ثوار أم عصاة؟

هناك مواضيع كثيرة في بلاد المغرب تعد مواضيعا حساسة جدا، ومن الممنوع التكلم فيها، لأنها تتعلق بالحاكمية العظمى، إليها سرديا في الرواية عبر شخصياتها، فكل شخصية فيها أعطاها الروائي أحداث وصفات تتفق مع الدور الذي تمثله، وأغلب الشخصيات مثّلت أشخاصا كان لهم وجودا حقيقيا في الواقع، وهذا الموضوع المسكوت عنه والممنوع التحدث فيه هو الانتفاضات والاحتجاجات الشعبية في المغرب، فكل من قام بها أبيد من على وجه الأرض، أو عاش حياة الموتى أو أدهى، فهذه الحركات الاحتجاجية «**عبارة عن حالة من الغضب العام التي تسود المجتمع أو فئة معينة داخل المجتمع، غالبا ما تكون هذه الفئات المهمّشة داخل المجتمع، ولا أحد يسمعها مما يجعلها تعبّر عن هذا الغضب في شكل الحركات الاحتجاجية، سواء أكانت سلمية، أو غير سلمية، في شكل إضرابات واعتصامات أو تجمهر أو تظاهر، أوقد يصل الأمر إلى استخدام هذه الفئات للممارسات العنيفة مثل حرق أو قطع الطرق من أجل التعبير عن مطالبها ومطالبة الحكومة بتنفيذها**»[1]. فأحمد المديني سلّط الضوء على هذه المواضيع بأسلوب سردي عجائبي، في الرواية، فبلدة نونة احتضنت هذه الشخصيات الرامزة لهذه الاحتجاجات، وكل شخصية كان لها خزان من الذكريات التي لا يمكنها أن تمحَ بسبب بشاعتها وتأثيرها في كل شخصية وما خلّفته من آثار وصور رسخت في الأذهان، فكل شخصية كانت غريبة عن هذه البلدة التي اجتمعت فيها تلك الشخصيات، ولكل منها أسباب ودوافع أدّت بها إلى هذه البلدة القابعة بين الجبال، وطرح الروائي فكرة أسباب هذه الاحتجاجات، وأنّ للجزائريين دور فيها «**لذا فهو موقن أنّ هؤلاء المتسللين من الدزاير**

[1] عبان الطاهر، علم الاجتماع السياسي، قضايا العنف والثورة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ص46.

بلاد الوسطيين، مكانهم الطبيعي هو زواوية بويا عمار، مشهورة يحمل إليها من طار إليهم الفرخ»[1]، وهذا يؤكد بأنّ هناك احتكاكات بين الجزائريين والمغربيين، وإرادة كل شعب في التغيير.

فشخصية **كبُّور** هي الأخرى كانت شاهدة على هذه الاحتجاجات رغم مرور الزمن عليها، إلّا أنّ هذه الذكريات لم يستطع نسيانها أبدا «**صور أحداث انصرمت عليها الآن أعوام، كم تلاعبا معا وهو يحاول أن يمسحها من ذاكرته، وبسببها بات يتجنب أي جمع يمكن أن يتعرف فيه عليه قريب أو بعيد، انقطع كليا عن أقاربه، بلغه أنّ كثيرين منهم نقلوا إلى معتقلات مجهولة بعد الأحداث اتهموا بالثورة على سلطة المحكومية، وهم فلاحون فقراء، أو رعاة لا أكثر، منهم من تشوهت خلقته، من اختل عقله، وأقلهم قضى شهرا بين سجن وتنكيل»**[2]، فالروائي هنا يريد يصوّر لنا أنّ كل من يتمادى على المحكومية قي المغرب، ويقوم بأي احتجاج أو تجمع يكوم مصيره كمصير أقارب كبّور الذين عبثت بهم الحاكمية العظمى رغم أنّهم مجرد فلاحين فقراء إلّا أنّهم لقوا مصيرا كانوا جاهلين له، فتشوّهت خلقتهم، واختلت عقولهم، ونكّل بأجسادهم، وعادت إلى كبّور ذكريات ابن عمه الذي خبّئه عنده في مطمورة، وأخرجه منها في شكل جنازة من بيته، لكنّ ابن العم لقا مصيرا كأنّه قائد انقلب ضد حاكمه «**فداهم القايد بيته ونكّل به أعوانه أمام الأهل والجيران وجاؤو ببغلة تجره مسحولا إلى مركز القيادة، عبرت أزقة البلدة لينظر السكان أيّ مصير ينتظرهم يجعلوا منه عبرة إن هم فعلوا»**[3]، إذن فهذا هو مصير من يطلب طلبا أو يريد إسماع احتياجاته لسلطة المحكومية في المغرب، التي شهدت العديد من الاحتجاجات في العصر المعاصر،فهناك ثلاثة تواريخ بارزة في تاريخ المغرب لا ينساها أحد وهي (**1965م، 1973م، 1981م**) فهذه التواريخ الثلاث أحداث مثلت منعرجا في هذا

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص31.

[2] المصدر نفسه، ص 32.33.

[3] المصدر نفسه، ص33

البلد باعتبارها تواريخا لاحتجاجات شعبية، لاقت بابا مغلقا من الحاكمية، والتي قامت بأبشع صور التعذيب والتنكيل بأصحابها.

فكبور عايش منها أحداثا رسخت في ذهنه ورفضت النسيان ولاسيما ما لاقاه ابن عمه من تنكيل وتعذيب صورهما الروائي تصويرا سرديا معبرا أشدّ التعبير عن هذه الأحداث عن طريق هذه الشخصية -ابن عم كبّور– الذي روت عنه زوجته أنّه اتُّهم بالانتماء إلى جماعة **أجلموس** وهي الجماعة التي خططت لانتفاضة **خنيفرة 1965**، واعتبروه شريكا مع أخطر أعضائها، حتى انقطع كليا عن الطعام وصار «**يقضي جلّ وقته يردّد ويعيد أسماء فرضوا عليه أن يعترف برفقته لها، حين كان صمته يطول أو يمعنه في الإنكار، ينتصب بينهم مَن يقوم بحركات فاحشة وهو ينطق اسمي** (الزوجة) **سنفعل ذلك الشيء أمام عينيك إن لم تسمهم واحدا، واحدا، يضيفون إليّ اسم أمه يفزعونه كذبا أنّهم أحضروها من دوارها الحقير بعد أن أشعلو النار فيه، وأتلفوا المحصول...**»[1]. فالروائي هنا يريد أن يقول بأن ليس هناك فرق بين طرق التعذيب التي استعملها الاستعمار في المغرب، وبين ما تقوم به السلطات المغربية ضد المحتجين وكل ما له صلة بهم، فأسلوب الترهيب نفسه، وأسلوب الإرغام الذي يؤدي إلى الإفصاح عن شيء لم يقم به، والاعتراف بشيء لم يقله، يضيف الروائي على لسان الزوجة «**خرج أخيرا زوجي عن صمته وأخذ يعدد، وهو يكلم معذبيه بالأمازيغية، فينهرونه «أهدر لدين انك بالعربية» فيعيد: نعم هم: آيت لحسن، نعم بوسعكوك محمد، نعم أسيدي موحا نايت بري، نعم أسيدي وفريكس حتى هو!»**[2]، فالروائي يريد أن يجعلنا نتسائل: ماذا فعل ابن عم كبّور؟ ما الجرم الذي قام به حتى يلقى هذا المصير؟. وإذا بحثنا جيدا، فإنّنا نجد ابن عم كبور قام بجناية بحسب السلطة، وهو أنّه خبأ كبور عنده في خضام احتجاجات **كازا**، لأنّه اعتبر غريبا عن تلك البلدة،، فهو إذن ينتمي إلى جماعة تحرّض على الاحتجاج، لكنه

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 33.

[2] المصدر نفسه، ص 34.

المسكين تاجر أتى إليها ليسترزق كعادته في بيع الجلابيب المغربية، وفي الأخير اعتبر متمردا بعد أنّ «**أنزله ابن عمّه إلى عمق مطمورة اختبأ فيها بعد أن خلع العسسُ الباب بحثا عنه لاشك أنّ المتمردين رؤوسهم مثقوبة مأي غربال، وإلّا لفهموا أنّ الحاكم والمحكومية هنا قوّة مطلقة كالله**»[1]، لكن قبل هدا الحدث يروي الراوي أنّ كبور الذي جاء من بزو لبيع بضاعته كأي تاجر عادي ينتقل من منطقة إلى منطقة للبحث عن رزقه، سمع في السوق الذي أراج أن يسترزق فيه بقرية مولاي بوعزّة «**صوت غامض، هنا يسمعون صوت الانفجار يوميا، كما سمعوا العسكر الفرنسي الذي كان هنا في السابق ينطقها.. كانوا يطاردون المقاومين من رجال الأطلس الأشاوس في الجبال ويقذفونهم بالبومبات**»[2]، لكن سرعان ما أيقن السكان أنّه ليس صوت البومبا، بل هو صوت القرطاس، فهي إذن «**طلقات رصاص لا واحدة، تشتت شمل الحاضرين في السوق اثرها، تجارا ومشترين رآهم وهو فيهم يهرولون بهلع وفوضى في كل ناحية ولا أي اتجاه**»[3]، فكبور كان في هذه الجلبة الكبيرة والفوضى العارمة التي عمّت السوق، ولا أحد يعرف سببها، فتاه في تلك الأزقة، إلى أن عاد إليه رشده فتذكّر الزقاق الذي يؤدي إلى ابن عمّه فوجد المنافذ إليه «**يغلقها الجنود، متى حضر هؤلاء، لا أحد يعلم، إنّهم طوّقوا السوق والسلام**»[4]. فالروائي هنا أظهر أنّ ذلك الرصاص الذي كان في كل اتجاه كان يطلقه الجنود، لكن لماذا؟ على من؟ لم يدر كبور الذي بعد كل هذا أصبح في قبضة الحاكمية في ليلة لا يمكنه أبدا نسيانها «**ليلة 3 مارس... أمسكت به دورية يرتدي رجالها جلابيب خشنة، بنية داكنة طرحوه أرضا مباشرة وبدأ الرفس، فصرخ أخويا، فزادوا يرفسون، سمع رئيس الدورية يؤكد بحثهم على المزيد: خذوا الكلب، راه من جماعة آيت**

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 31.

[2] المصدر نفسه، ص28.

[3] المصدر نفسه، ص 29.

[4] المصدر نفسه، ص 30.

خويا!»[1]، هي إذن ليلة وفقط جُعِل كبور وغيره من القرويين الذين أمسكت بهم الدوريات، منتمين إلى جماعات تحرّض على رفض الواقع المعيش. لكن كبور ومن معه هربوا بعد ذلك، باهتمام الدوريات بمتسللين من الجزائر ومحاولة القبض عليهم حسبما أخبره ابن عمّه بعد ذلك «**أنّهم جاؤوا متسللين من الدزاير لا شك فقدوا صوابهم، غرضهم كما حاولوا إقناع بعض السكان، الثورة على المحكومية**»[2]. هنا الراوي يذهب إلى طرح عدّة تساؤلات عن الثورة، ما هي الثورة؟!، وهل سكان هذه القرى والدواوير والمداشر الفقيرة تعرف معناها، ومن يقوم بها؟

فالروائي يطرح قضية جد حسّاسة في بلاد المغرب وهي التحدث عن الثورة، وثورة الشعب على من يترأسه، فالثورة في مفهومها العام هي «**تغيرات فجائية وجذرية تتم في الظروف الاجتماعية والسياسية في مجتمع ما، حيث تشير هذه الظروف إلى تغيير النظام الاجتماعي والقانوني، وقد يتم هذا التغيير بصورة فجائية عنيفة**»[3]، فالثورة هي البحث عن التغيير والانتقال إلى الأفضل في كل المجالات، لكن موضوع الثورة بحسب الروائي موضوع لا بد من طرحه في ظل الواقع الذي يعيشه المجتمع المغربي، ومدى صرامة السلطة المغربية في هذا الأمر، فكلّما حدثت احتجاجات، سعت السلطة إلى كبحها في أقصر وقت وأخذ أصحابها إلى المجهول، وإن وجدوا موتى لا أحد يعلم بجثثهم ومكان وجودها، فحتى القبور ليست من حقّهم، وهذا ما حدث في مولاي بوعزّة 1965، وأحداث مارس 1973.

ب- فشخصية **دحمان السائق**، شخصية حمّلها الروائي جملة من الأحداث التي من خلالها رَمز لواقع المجتمع المغربي، فدحمان رجل مغربي، يعمل كسائق، لكنه يظل في الأخير من الذين عاشوا تلك الأحداث، التي تأبى الاندثار والنسيان لأنّه كان من الذين عايشوها

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 30.

[2] المصدر نفسه، ص 31.

[3] وفاء علي داود، التأصيل النظري لمفهوم الثورة والمفاهيم المرتبطة بها، مجلة الديموقراطية، عدد 58، جانفي 2013، ص67.

وتتبعوا مجرياتها **«كان يسمع بعض كبار السن في مقهى "أنت عمري" يحكون في شريط ذكرياتهم كيف كانت كازا وكيف هي اليوم، يتذكرون أيام الرجال، يقولون كما ظهروا في أحداث مارس 1965، تلاميذ كازا العزاز قلبوحا رأسا على عقب، وساندهم أبناؤهم»**[1]، الروائي يبرز أن أحداث مارس 1965 بكازا، قامت بها فئة شبانية واعية، وهو اعتبرهم كما قال تلاميذ، هم من اجتمعوا وخططوا لهذه الأحداث، وكان لهم آباؤهم السند في ذلك، ولكن ثلاثة أيام فقط جعلت الدار البيضاء مقبرة، فالعسكر أبادوا كل من كان في تلك الأحداث، وبعد ستة عشر سنة يتكرر المشهد نفسه مع دحمان **«اليوم نحن في شهر يونيو 1981، ولا تسمع إلا القرطاس، كل من هو حي يجري ها ربا بروحه لعلّه يسبق الموت الذي يجري ليلحق به، من استطاع إلى الجري سبيلا وليس إلى الحج، القطط بمواء خانق كالصرير، مواؤها مناشير تحزُّ اللحم حزًّا، الكلاب الضالة أيضا تجري»**[2]. أما الروائي فهو يريد أن يقول حتى الحيوانات لم تسلم من الرصاص المتطاير هنا وهناك، فهي هربت منه مثلما هرب الانسان بحثا عن الحياة، وبعد وقف إطلاق الرصاص قام دحمان **«يسحب جسده فوق أحساد رجال وفتيات، مَن دماؤهم تسيل، أو مثقوبة أعضاؤهم بالرصاص، ومنهم من يجرهم الجنود من أرجلهم وأيديهم ويدفعونهم أمامهم بكعوب البنادق نحو الشاحنات التي تسد المنافذ، وعويل نساء من قريب وبعيد: أعطونا رجالنا! قتلتم أولادنا! الله يأخذ فيكم الحق، واك، واك أعياد الله، آجيوا تشوفوا عسكر حاكمك يقتل أولاده!»**[3]، فعبارة أعباد الله، أجيوْ اتشوفوا عسكر حاكمك يقال أولاده!، خير دليل على مدى بشاعة السلطة المغربية تجاه شعبها، ولا سيما من احتجوا أو تظاهروا من أجل حقوقهم ومطالبهم الشرعية في هذه الحياة، فكيف للعسكر وهو الحصن المنيع والأسود الحامية لعرينها، أن يقتل أولاده أمام أعين أمهاتهم، وأن يرمّل النساء وييتّم

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 114.

[2] المصدر نفسه، ص114.

[3] المصدر نفسه، ص 114.

الأطفال، وحتى أنّهم يتركون تلك الجثث تقبع تحت التراب ولم تكن لها قبور تحويها، ففي منتصف تلك الليلة «**ربما انتصف الليل أو بعده، لم أنم لأقول إنّني أحلم لمّا سمعنا من جديد صوت هدير محركات، هي شاحنات، خرج منها مَن وجوههم تظهر عن بعد كأنّها مغطاة بكمامات، ثيابهم في هيئة أكفان من بلاستيك يرشون غبرة على الإسفلت تراكمت فوقه أجساد، أجساد من تركناهم أمس هناك لكم ينجوا من هلاك لم نعرف سببه، شرعوا يقذفون الأجساد في جوف الشاحنات تباعا، طلع النهار ومعه رائحة مبيدات أو مثلها ستطلع معها الأرواح**»[1]. هي إذن أرواح زُهقت بدون سبب كالحشرات، وقذفت كما تقذف القمامة في شاحنات التنظيف، وبعد الانتهاء منها يقوم العمال بوضع روائح المبيدات للقضاء على الجراثيم والروائح الكريهة، فضحايا حادثة 1981، اعتبرهم الروائي أنّهم حشرات في نظر عسكر البلاد وحاكمه، فهم بعد قتلهم ورمي جثثهم في الشاحنات - ولا أحد يعلم أين ستنقلها – وضعوا المبيدات ونظفوا المكان كأنّ شيئا لم يحدث، وعاد السكان في صباح الغد لحياتهم الطبيعية دون أن يفتح أحد فمه عن ليلة البارحة، وكانوا «**يجلسون على كراسي وطيئة وطعامهم فوق الطاولة بأرجل متلملمة، تحتها بقع دم، وبقايا لزجة من أحشاء، الساحة مبقعة في الصباح الذي تلا هجمة العسكر ببقع دم كبيرة ببقع لزجة، ببقع حمراء، بدوائر لمّا تزل بعد سائلة، تغمس فيها أيد أصابعها وتسحبها إليها بمائها كأنّها خراف نحرت للتو، وتتراجع الأيدي القامات تخاف أن تسأل لمن هي**»[2]، إذن هذه هي سياسة التعامل مع كل احتجاج أو تظاهر في المغرب، لذا فهذه المواضيع تعد من المسكوت عنه، لأنّها بخلاصة التعبير تتعلق بالسياسة المتبعة في بلاد المغرب، فهذه الأحداث لم يعرف سببها إلا بعد طلوع النهار«**وتعالى النواح من أكثر من زقاق وبيت في الحي، نساء افتقدت أو فقدت الابن أو العائل، حين التقينا في المقهى سمعنا روايات مخيرة، أقواها أنّ القوة تدخلت وأرسلت خصيصا لتفشل إضراب النقابات، لمّا فلت**

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 115.

[2] المصدر نفسه، ص 115.

الزمام اندلعت مظاهرات واصطدامات، والحاكم لا يسمح بالفوضى، فأنزل القوات لمطاردة المخربين، واعتقل وقتل العشرات أو المئات، سيّان ثم عاد وكنس الشوارع منها، وها أنتم ترون، ختم المتحدث الساخر في "مقهى أنت عمري" هو إما رماها في البحر كما حدث في سنة 1965 أو عقّمها إلى حين نقلها في وقت مناسب إلى مكان آمن»[1]، فالسبب الذي أدى إلى إبادة المئات، هو التظاهر وإضراب النقابات، فالروائي قال عبارة صريحة "الحاكم لا يسمح بالفوضى" فذلك الإضراب حسبه مجرد فوضى قام بها مخربون لا يريدون الخير لهذه البلاد العظيمة، والحل الوحيد لكسر شوكتهم هو القوة لا التفاوض والتشاور وهو نفسه ما حدث سنة 1965، أما مصير تلك الجثث فيبقى مجهولا إمّا ترمى في البحر لتكون طعاما للحيتان، أو تعقّم إلى حين نقلها إلى مكان آخر، كجثث أصحاب حادثة 1965. فشخصية دحمان استرجعت كل هذه الذكريات، لأنّها تحمل شكا كبيرا يكاد يكون يقينا، بأنّ دحمان السائق يحمل مثل هذه الجثث في الشاحنة التي يقودها في تلك المهمة الغامضة التي وكّل فيها بنقل شيء لا يعرفه في شاحنة مغطاة، ما عليه إلا أن يقودها إلى الوجهة المطلوبة منه.

ج- رمز كذلك الروائي من خلال شخصية **هنيّة** إلى العائلة التي افترق أفرادها بسبب لا الأحداث التي كان سببها أنّ الحاكم لا يسمح بالفوضى في بلاده، فهنية شخصية من شخصيات الرواية التي تبحث عن أخيها الذي لم يعد له أثر وتلك الأحداث كون هنية وأخيها من منطقة أولاد حريز الذين **«تجدهم دائما أنوفهم الى السماء حتى الحاكمية الكبرى عليها يتكبرون ولا يدخلون في طاعتها، فانتقمت منهم جعلت اعزّة أهلهم اذّلة، واضطروا للهجرة ونقلت لبلد تهم الاغراب وولت عليها قيادا وباشوات».**[2]

فعدم الخضوع للسلطة الحاكمة لدى هنية وأخيها متجذرة عن الأجداد الذين تكبروا عن الحاكمية الكبرى وعدم طاعتها،-مما جعلها تلقي بغضبها عليهم فجعلتهم أذلة بين

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 116.

[2] المصدر نفسه، ص147.

الأقوام. فهنية لم تبق مكتوفة الأيدي وظلّت تبحث عن أخيها فهي **«لا تنسى منذ أخذوا أخاها وهي تحرث البلاد بالطول والعرض، تبحث عن عبد الكريم، جاء من برشيد للدار البيضاء وغير»**[1]. فمنذ أن فقدت أخاها وهي تبحث عنه، فاسم عبد الكريم من اصطناع الروائي فهو يشير به إلى أحد المشاركين في أإحداث الدار البيضاء، التي فرّقت هنيّة عن أخيها مثلما فرّقت الكثير من العائلات وشرّدتها ويتمت أطفالها. وكان لهنية الحل الوحيد الذهاب للشوافة علّها تعطيها ولو بصيص أمل عن مكان أخيها « **صارت تنوح وتعدد من أجل، خويا مصطفى، لو استمع إليها لما حدث المكروه، وها هو اختفى وأنا أبكيه، طفت البلاد لأحطّ هنا، رأت الشوافة أنّني سألاقيه هنا، إما هو، أو ترابه، كيف ترابه؟ نعم يا بنتي أنت محظوظة إذا وجدت ترابه، وإلا مئات سَرطهم الحوت في البحر، قالت لي أقصدي الأطلس بعد خنيفرة»**[2]، وهنا طرح الروائي سؤالا: كيف ترابه؟ بمعنى أن تجد هنيّة أخاها مدفونا تحت التراب أفضل من أن يكون قد أكله الحوت في البحر.

د- شخصية المعلم لمباركي:

شخصية كان لها دور فعّال في تحريك الأحداث في الرواية، وهي شخصية رجل مقاول كبير في المغرب، أسندت إليه مهمة كبيرة من طرف الحاكمية العظمى في بلدة نونة، وهي حفر نفق تحت الجبل لغرض لم يعرفه ولم يستطع حتى السؤال عنه، لأنّه كان عبدا مأمورا فقط. كان لهذه الشخصية دورا بارزا في إظهار الكثير من الحقائق المخفية. فالروائي حمل على عاتق هذا الشخصية حملا ثقيلا في جعبته الأسرار أراد لها الظهور للشعب المغربي، وكانت من الممنوع الحكي والسؤال عنها، وهي جثث أصحاب تلك الأحداث مولاي بوعزة، الدار البيضاء، كازا، التي كشف وجودها مع شخصية المعلم لمباركي، التي أقيم لها موكبا كبيرا يقصد بلدة نونة للعمل فيها، وكان موكبا كبيرا من السيارات والشاحنات، وحتى الفرق الفلكلورية، حتى أنّ هناك **«منهم من ظنّ أنّ هذا**

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 148.

[2] المصدر نفسه، ص 207.208.

الموكب قاصد مرة أخرى طريق الصحراء كما حدث سنة 1975، عندما دعا ملك المغرب الحسن الثاني رعاياه الأوفياء وعبّأهم في خطة أسبغ عليها اسم المسيرة»[1]، فالروائي هنا لعظمة المهمة التي أسندت للمعلم لمباركي شبهها بموكب المسيرة الخضراء، وهو موكب أقامه الملك الحسن الثاني لاسترجاع الصحراء من الاسبان، ولقد «**فرح المعلم لمباركي أيما فرح لما أُشهر بهذا الظن»**[2]، ودخل المعلم لمباركي إلى بلدة نونة محمّلا بعتاد كبير من آلات حفر وغيرها بالإضافة إلى أربعة عشر شاحنة، منها أــربعة مغطاة لا أحد يعلم ما فيها حتى المعلم لمباركي فهو عبد مأمور من فوق، فحتى سواق الشاحنات الأربعة لا يعرفون ومنهم السائق دحمان الذين راودته شكوك أنّهم يحملون جثث ضحايا الأحداث السابقة، التي لم يعثر لها على أثر.

وكانت تلك الاحتفالات بالموكب لا تزال قائمة، ولا أحد يعرف السبب، إلا بطبيعة الحال من هم فوق، فحتى المعلم لمباركي لا يعلم سببها، فقد طلبوا منه وألحوا «**اسمع: "حسي ..." والصفقة معك لن تكتمل إلا حين تكتمل وينتهي الأثر، إنّما لا بدّ أن يتم كل شيء في أجواء احتفال شعبي من باب التمويه لا غير»**[3]، إذن فتلك الاحتفالات أقيمت للموكب فقط، من أجل إبعاد فضول منى يسألون ويحشرون أنوفهم في شؤون الحاكمية، بدأت مهمة المعلم لمباركي بسرعة وتجنّد كل العمال لحفر النفق تحت الجبل، وبعد حفر امتد طويلا «**صرخ عامل كان قد وصل إلى آخر نقطة من الحفر، يا المعلم هنا إشارة مكتوب عليها "الطريق إلى تزمامارت"، ارتعد الأحياء في وقفتهم، منهم من أغمي عليه، فاسم تزمامارت عنوان للمعتقل الذي زجّ فيه حاكم سابق جنوده وأعداءه إلى أن تحللوا وبادوا، لا، صرخ العمال، لن نذهب في هذا الخط»**[4]، ولكن كيف للعمال أن يتوقفوا عن العمل، والأمر جاء من الحاكمية العظمى بنفسها، فهم سيكملون الحفر بإرادتهم أو

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 25.

[2] المصدر نفسه، ص 25.

[3] المصدر نفسه، ص117.

[4] المصدر نفسه، ص 276.

بالترهيب، وادخل المعلم لمباركي ومن معه ولفوا الموضوع وأوهموا العمال بأنّ هذا المعتقل –**تزمامارا** – مجرد أحجية «**نحن لا دخل لنا في من مات، من لا يعيش، لا نعرف ولم نسمع عن تازمامارت، هذه أحجية بلغني تخيف بها الأمهات والآباء أبناءهم**»[1] فالحاكمية العظمى تستعمل كل الطرق والأساليب لتمويه (الشعب وجعله بعيدا عن مخططاتها وأعمالها السرية رغم أنّها تمت كل الصلة به إلا أنها جعلته في الهامش ولا علاقة له بكل القرارات والأوامر التي تصدرها، فالروائي هنا أراد إبراز كيفية الخضوع والقبول بالأمر الواقع دون الذهاب للتشاور والتساؤل بين الطبقة العاملة التي أغلق أفواهها رب العمل الذي وكّل بهذه المهمة السرية، فهدفه إكمالها والسلام. وعند الاقتراب من الانتهاء يصوّر الروائي هلع ورعب العمال لما كانوا يحفرون بالفؤوس ويجدون أنّها تغوص في شيء غير التراب« **إنّها تنغرز في ما يشبه اللحم، تخرج رؤوسها عالقة بها بعض الرّمم، كأننا نحفر في مقبرة موتاها دفنوا من وقت غريب جدا**»[2]، وهنا يضيف الروائي تدخل الحاكمية العظمى عن طريق الوسيط، وتحفيز العمال على زيادة الأجرة لهم، واستعمل أسلوب اعتادت حاكميته على استعماله وهو إيهام العمال بأنّ تلك ربما جثث لأصحاب هذه البلدة الذين لا يجدون أماكن لدفن موتاهم فيدفنونهم ليلا هناك.

وبعد تفقد المعلم لمباركي نفسه هذا الأمر ذهب مسرعا لقائد الحامية العسكرية الذي أخبره «**نحن لا نسميهم هكذا** (أي الموتى) **إذا كنت تقصد أولئك العصاة الذين نقلت في شاحناتك**»[3]، وهنا يفضح الروائي ما هو مستور، ويكشف حقيقة الحاكمية في حفر النفق تحت الجبل في بلدة نونة، البلدة البعيدة والقابعة بين الجبال، وكيف نظرت إليها الحاكمية العظمى وأرادت أن تقوم فيها بمشاريع تنموية، ولكن ظهر العكس فقد اختارتها لأن فيها مصلحة خاصة وسرية لها وهي رمي جثث أصحاب تلك الأحداث التاريخية (1965،

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 276.

[2] المصدر نفسه، ص212.

[3] المصدر نفسه، ص 112.

1973، 1981) في البحر أو تعقيمها وإخفائها إلى حين الوقت المناسب، وهو ما ظهر مع موتى الاحتجاجات التي كانت في مارس 1973، وأي عيد يكون للمغربيين كهذا العيد، فهذا العيد لم تنحر عندهم الخرفان بل نحرت عندهم فلذات أكبادهم، فهذا اليوم الأسود لن يُمحَ أبدا من ذاكرتهم إلى يوم الدين، هكذا كشف الروائي بشاعة الحاكمية العظمى التي استهزأت بشعبها وبأولادها خاصة واعتبرتهم عصاة، بينما هم ثوار، ومتعلمون، حقوقيون، أحرار، ذنبهم الوحيد الاحتجاج والإضراب والمطالبة بحقوقهم، فأعدموا ورميت جثثهم كسابقيهم في مكان معين، ثم حملوا في شاحنات المعلم لمباركي -ما هي إلا مثال وضعه الروائي ليكشف ذلك- ورموا في أنفاق وأنفاق شديدة الظلمة. يعود الروائي ويكشف ما هو أكثر، فبعد الحفر ويكاد العمال ينتهون واجهتهم مشكلة أخرى وهي وجود عارضة في آخر النفق، واتضح في الأخير أنّها كتبت عليها أسماء أصحاب أحداث 1973، الذين أعدموا صبيحة يوم عيد الأضحى، كتب عليها:

«هنا لائحة عصاة أُعدموا صباح 1 نوفمبر 1973، صبيحة عيد الأضحى، أعطي الأمر بإطلاق الرصاص عليهم على الساعة السادسة صباحا و38 دقيقة، وهم المتابعون في قضية "مولاي بوعزة" أو ما يعرف بملف "عمر دهكون ومن معه"، وجاءت لائحة أسماء:

عمر دهكون، يونس مصطفى، آيت يزيد لحسن، حديد وموح، أمحزون موحى ولحاج، بيهي عبد الله الملقب فريكس، دحمان سعيد نايت غريس، عبد الله بن محمد آيت لحسن، بارو مبارك، بوشعكوك محمد، حسن الادريسي، موحا نايت بري، تفجيست لحسن، أجداني مصطفى، محمد بلحسين، الملقب هوشي منه».[1]

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص213، 214.

ثالثا- الضمير "هو" المسكوت عنه:

لجأ الروائي في هذه الرواية إلى التطرق إلى شخصية ذات مكانة عالية ومرموقة في السلطة، وهي شخصية يشار إليها دائما بضمير الغائب "هو"، وهو ضمير الغائب المفرد المذكر، وهذا دليل على أنّ هذه الشخصية "رجل" ذو نفوذ واسع، وسيفه سيف الحجاج، ولا أحد يمكن أن ينطق باسمه حتى في الخفاء، «**يصل إلى الناطق شبه الرسمي باسم من لا يجوز بأي حال نطق اسمه، مهما كان السبب، أو ظهر العجب، اللهم أن يأذن الشخص نفسه أن ينطق اسمه علما أنّ شيئا من هذا خارج عن الأعراف والعادات والسنن المحكمة التي تجري بها وعلى منوالها كافة التقاليد**»[1]، فالنطق باسم هذا الشخص أمر خارج عن العادات والتقاليد هناك، فلا يمكن لأحد تسميته أو ذكره، حتى لو كان هو نفسه من سمح بذلك، فالروائي في الرواية يطرح موضوعا من المواضيع التي تعد من الممنوعات في المغرب، وهو علاقة الشعب بالسلطة، ولا سيما بحاكمها الأعظم، الذي يمكن أم نقول بأنّ الروائي عندما استعمل الضمير الغائب **"هو"** يقصد به حاكم البلاد، لأن بحسب الروائي وما جاء في الرواية من عبارات تحمل معها التهديد والترهيب، والألفاظ المستعملة كانت ألفاظا تحمل رموزا وغموضا «**لذلك فحاكمنا فريد في جنسه، واحد متعدد، هو وليس هو، عزّ له النظير!**»[2]، فلفظة فريد في جنسه، تدل أنّه جنس وحاكمهم فريد من نوعه، وواحد متعدد، يقصد بها الروائي النظام القائم في بلده، وهو نظام ملكي متوارث، من الجد إلى الأب إلى الابن وهكذا يبقى في استمرار واحد متعدد، وكلمته فوق كل شيء «**نبههم أنّ الكلمة جاءت من فوق أي أنّهم عند أي تقصير معرضون ليسحقوا تحت، هم وسلالاتهم، وعروقهم حيثما وجدت وأينما امتدت، وتلاحق، وتجتّث، ولو كانت في بروج مشيّدة**»[3]، فهذا الكلام وجهه عبد من عباد السلطة، وهو من

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 18.

[2] المصدر نفسه، ص 292.

[3] المصدر نفسه، ص 21.

قوم السمع والطاعة المعلم لمباركي لعماله ليعملوا بدون استفسارات أو أسئلة حول مشروع الحاكمية في بلدة نونة، فعند أي تقصير منهم في العمل سيكون جزاءهم السحق الكلي هم بسلالاتهم وعروقهم أينما كانت، فالعلاقة بين الراعي والرعية بينها فجوة عميقة وواسعة كثيرا، شرح الروائي هذه العلاقة من خلال شخصية للّانونة التي استدعيت من طرف الحاكم العام كونها شخصية ذات وقار ومكانة عالية لدى الشعب النُّوني، الذي حمّلها جلّ طلباته واحتياجاته لتطرحها عليه وليلبيّ مولاهم هذه الاحتياجات، واعتبروها محظوظة كونها وصلت إلى أن استدعيت من مولاهم، «**أنت محظوظة بوصولك إلى هنا، هناك مئات، آلاف، يقضون السنوات الطول وهم يتوسلون، يتشفعون، ويرسلون الهبات، كي يفوزوا ولو بشوفة، وحتى شويفة مسروقة من بعيد لمولانا**»[1]، فمن أجل فقط رؤية حاكمهم ينتظرون سنوات وسنوات علّهم يحالفهم الحظ لرؤيته حتى ولو من بعيد، فالمجاهدة نونة، كما يسميها أهل بلدتها، كانت من المحظوظين، لكن طالت فترة انتظارها كغيرها الذين هم في انتظار منذ وقت طويل لا يعرفون متى جاؤوا ولماذا جاؤوا أنساهم الانتظار، مثل الشيخ والسيدة (اللاقوت القلوب) اللذان التقت بهما المجاهدة نونة، التي أصبحت ترى حاكمهم في الأحلام، لتخفّف عن نفسها «**لترحل في حلم يأتي معه وجهه أو هيئته جاهزا وكاملا لا يشكو من نقص، وهل يعقل أن يكون ناقصا!**»[2]، طرح الروائي هنا تعجبا فكيف يكون لحاكمهم النقص فهم يعتبرونه كاملا مكملا، والكمال لله عزّ وجلّ فقط، فالشعب في نظر الروائي، ينظر لحاكمهم بهذه الصفة، والذي لا يمكن حسبه أن يعتريه نقص «**وإلا لفهموا أنّ الحاكم والمحكومية هنا قوة مطلقة كالله، موجودة في كل مكان، ولا يمكن أن تمسك بها أيضا في أي وقت ولا مكان، كل من هو حي أو يمشي أو في فراشه يحس أنّ المحكومية ترافقه، الرضيع في بطن أمه، النملة وهي تدب، الطير وعلى أي ارتفاع يحلق، بأمرها يأتمر، وبحمدها يغرّد وفي أي خلاف ينشب بين هذا**

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 289.

[2] المصدر نفسه، ص 295.

وذاك، قبيلة وأخرى، لا تسمع إلّا نَمْشِيو عندها والكلمة كلمتها»[1]. فالروائي هنا صوّر أنّ حاكمهم قوة مطلقة، تبث أيديها في الشعب أينما كان، فحتى النائم يحس أنّ الحاكم والمحكومية تترقّبه، فهي موجودة في كل شبر فيه سكان، وهنا يبين الروائي مدى تحكم الحاكمية في الشعب، والعلاقة بينهما، ولا يمكن لأي فرد أن يحلم حلما فيه حاكمهم، أو أن يتخيّل له صورا وأشكالا كما يجب «**إذ أضافت ليس مسموحا لنا أن نجنح أو نشطّ في الأحلام، كأن نتصور لحاكمنا ما يحلو لنا من صور وأشكال»**[2]، فحتى الحلم ممنوع عليكم يا أهل المغرب إذا تعلّق موضوع حلمكم بمولاكم وحاكمكم المعظّم، لأنّكم إذا حلمتكم به قد يشوبه في صورته أو شكله عيب أو نقص.

ومن مظاهر احترام الحاكم في المغرب، وتبجيله الانحناء له، فالشعب أصبح ينحني للحاكم حتى ولو بسماع اسمه أو رؤية صورته أو صورة سلالته، ومثال ذلك للا نونة لمّا وصلت القصر، ورأت «**تصاوير كلها لرجال بجلابيب ولحى بيضاء، إلّا واحد بلباس عصري، يرتدي سترة حمراء، وبنطلونا أصفر، ويضع على رأسه طربوشا من فش، قالت لها للّاقوت القلوب إن هذه السلالة المعصومية، وعليها أن تنحني أمام كل واحد، ففعلت»**[3]، إذن فهم أصحاب الضمير الغائب المفرد "هو"، فهو واحد متعدد، فلا سبيل لأحد بلوغ مقامه ومكانه إلّا إذا كان ينتمي للواحد المتعدد، حتى وإن كانوا من الحاشية والبطانية «**لا يسمع ممن يلتقي بهم إلّا إشارة لضمير الغائب، هو، قال هو، يأمرك هو، أمرنا هو، ويضيع في معرفة سند هو، من كثرة ما تحال إليه الإشارات والتعليمات، وتوضع له أحيانا صفات، ويؤمأ له بعلامات»**[4]، فالشعب المغربي، نقشت فيه هذه الظاهرة، فأصبح أينما يذهب في جميع المصالح، يقال له أو يسمع بأذنيه «**إنّه هو ليس هنا، وهو في اجتماع، وهو ذهب عند هو، وأنا لا أستطيع أن أخبر هو بوجودك لأنه منعنا جميعا من**

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص31.

[2] المصدر نفسه، ص295.

[3] المصدر نفسه، ص307.

[4] المصدر نفسه، ص118.

الاتصال به لأي سبب حين يكون في اجتماع مع هو»[1]، فالسكان أيضا تاهوا في سند "هو"، لأن هذا الضمير انتشر كالعدوى في جميع مصالح البلد، وعليهم التقيد به، ولا سيما "**هو**" الكبير، والذي لا يمكن الوصول إليه «**ينطقون بها فتسمعها جهيرة، مفخّمة، يحب الناطق بها أن يعلم السامع بمكانته لدى هذا الغائب الذي لا يسمّى ولا يتسمّى، هو عندهم، بينهم** (أهل الحكم والسياسة) **جلّ على ألسنتهم أن يسمىّ**».[2]

رابعا: صور الفساد في الرواية

تغلغل الروائي أكثر فأكثر فيما يخص القضايا المختلفة التي لها صلة بالمجتمع، وأراد من خلال روايته –بلاد نون- أن يكون جزءا من هذا المجتمع، وأن يكون صوتا يتكلم عنه كونه ابن هذا المجتمع، ويهمه فرحه وحزنه، ويسعد برؤيته متطور ودائم الرقي، ويحزنه ويؤلمه إذا رآه يغرق في المشاكل، ويتخبط في وحل الفساد، الذي كان له نصيب في الرواية من خلال مظاهره.

فالروائي رأى أنّ لا بدّ من ضرورة محاربة هذه المظاهر والتصدي لها بكل الطرق، فأضحت المناصب لغير مستحقيها، وكل هبّ ودبّ يصبح وزيرا، نائبا، قائدا..« **هذا زمان ما تعرف ساسو من راسو، اللّي أَلْقَا الربح فِلهبال آش يدير بالعقل. .غدًا تولّي حتى انت وزير الثقافة، وعلاش لا وزير الأسالة والمعاسلة، وحتى الأوقاف إلّي بِيتِي [بغيتي]**»،[3] وأضاف الروائي بأنّ المرأة أصبحت لها كلمة، وأضحت تسيطر على مقاليد السياسة باستغلال الرجل، ورأى أن ليس هناك ما هو جديد في الحاضر فكلها أيام تمر مثل بعضها، وحوادث مبتذلة، وأخبار مجرد متداولة «**رجالها مذلون، حتى وهم كبار يهانون، جلهم يباعون ويشرون، وكما لا همة لهم لا طعم ولا رائحة لنسائهم، رغم أن مقاليد السياسة أصبحت بأيديهن ومقاعد الرياسة تتبدل بين عشية وضحاها بحسب هوى**

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 118.

[2] المصدر نفسه، ص 118.

[3] المصدر نفسه، ص 198.

مضاجعهن، وصرن يتصرفن في الرعية والبرية على قدر ما ملكت أيمانهن، فالرجال يا حسرة اليوم مملوكون»[1]، ويرى أيضا أن الرجال أصبحوا مملوكين من طرف النساء اللاتي أصبحن يتصرفن في الشعب وفي مقاعد الرئاسة، التي أصبحت تتبدل بحسب هوى المضاجع، وهذا ما يتحسر الروائي عليه.

عرض الروائي مظهرا من مظاهر الفساد في بلاده، وهو تقديم الرشوة، وهي دفع مال -وما شابه للحصول على مصلحة، أو شيء ما يريده الإنسان في نفسه ولا يجد تسهيل فيه، فيلجأ إلى الرشوة لتسهيل أموره، واعتبر الروائي الرشوة من بين أكثر صور الفساد في بلاده، فجاء على لسان إحدى الشخصيات في الرواية «**وهي منتشرة في كل مكان واستهلال أي كلام كبسم الله، كل من يطلب ورقة إدارية أو مصلحة يفاوض لرشوتك، إن رفضت معناه أنك ستهمل طلبه، إنهم رضعوا الرشوة مع حليب أمهاتهم»**[2]، فهي إذن منتشرة بكثرة في الإدارة على غرار مختلف المصالح، فكل من يرفض الرشوة التي تقدم له، يفهم صاحبها أن أمره سيكون في سلة المهملات، وهذا بطبيعة الحال راجع للثقافة التي اكتسبها المواطنون في هذه الأمور، حتى أنهم أنهم أصبحوا يقدمونها أولا قبل طلبهم، فهم كما قال الروائي رضعوها مع حليب أمهاتهم **« فالرشوة عملة صالحة ورائجة في بلاد الموغريب»**[3]، حاكى الروائي من خلال شخصيات الرواية مختلف صور الفساد والبيروقراطية وغيرها

أ- شخصية المعلم لمباركي:

المعلم لمباركي وشخصية رجل مقاول، مارس هذا العمل من صغره، أخذه عن أبيه أسندت له الحاكمية العظمى مهمة لإنجاز مشروع في بلدة نونة، وكان من خدام هذه الحاكمية، فهو لا يستطيع أن يجادل أو يفاوض في أي أمر توكله له، **«سأنفذ المشروع**

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 199.

[2] المصدر نفسه، ص 230.

[3] المصدر نفسه، ص 170.

الذي رسا مزاده علي بأمر من الحاكم العام وحده بعدالته لا شريك له في الحكم والأمر وواجب الطاعة»[1]، فهذا هو إذن المعلم لمباركي عبد مطيع فقط، رغم أن المشروع الذي أتت به الحاكمية العظمى فيما يخص المقاربة الشريكية لم يعجبه وكان رافضا له، لأنه يقوم على تجديد النخب، فهو بنى نفسه بنفسه وأصبح مقاولا كبيرا، يأتي الآن أن يقال أو تاجر عادي يصبح له الحق مثله، فهو كما حاء في الرواية **«أنا لا تعجبني المقاربة الشريكية فهي تبدأ بمالي وسكني وربما تمتد إلى... ما لا يحمد عقباه»**[2]، رغم أن هذه المقاربة لا تعجبه فما عليه إلا القبول بالأمر الواقع، واعتبر أن كل من مسته المقاربة الشريكية من النخب الجديدة سيصبح له « **صوت في النقابة وسهم في البورصة وحتى مقعد في البرلمان الذي جال بخاطر الحاكم العام التبرع به على خدامه الأوفياء، لإقرار حاكمية الحق والمؤسسات»**[3]، فحتى البرلمان أصبح في قبضة الحاكم العام من خلال جعل خدامه الأوفياء برلمانيين، وليس كما هو معمول به لدى الشعوب الأخرى التي تعتمد على انتخاب من ينوب عنهم في البرلمان لتحقيق المساواة والعدل، لم يقتصر الأمر هنا فقد امتدت يد الحاكم العام كما يرى الروائي إلى العسكر وجعله **«في هذا البلد هم كل شيء، لا هم يقعون في الترتيب دون حاكمها الكبير خذ مثلا يأتمرون بأمره ويصدعون بمشيئته والأرض بين يديه».**[4]

ب- شخصية دحمان السائق:

هي شخصية رجل يعمل كسائق، ومن خلال هذه الشخصية أراد الروائي أن يبرز أشياء خطيرة، وتعتبر من الهامش والممنوع التطرق إليها في بلاده، وهي من أخطر مسائل الفساد فيه، وهي الغبرة أو ما يعرف بالحشيش بالعربية، ونقل السلاح، "من - إلى" لا احد يعرف سوى من هم أصحاب الشأن، فدحمان السائق لما كان يعمل كسائق أجرة

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 49.

[2] المصدر نفسه، ص 44.

[3] المصدر نفسه، ص 45.

[4] المصدر نفسه، ص 48.

جاءه «**شخص لا معرفة سابقة لي به، يعلن أنه مبعوث من المعلم، هو يحمر عينيه في وجهي، ويقدم لي سلة محكمة الإغلاق يطلب مني أن أبلغ هذه السخرة، وبلهجته إلى المواطن الفلاني، وأن أضعها شرط تحت مقعدي أن أنتبه لها مثل مومو ديال عيني**»[1]، فتبدأ الوساوس تدور في رأسه، ما هو هذا الشيء الذي يجب أن أضعه تحت مقعدي؟ ولماذا؟ لو لم يكن شيئا ثمينا فلماذا أحافظ عليه مثل مومو ديال عيني،مع كل هذه التوصية يشتمه ويحذره مَن قال أنّه مبعوث من المعلم «**للدّين باباك، وإن لم تصل لأَعلَمُ من الأن أنّي، ويمرر يده تحت عنقه، أفهم منها أنّني لا محالة مذبوح**»[2]، فأي بضاعة هذه إذن إن لم تكن الغبرة، هي الوحيدة في هذه البلاد التي تكون أخطر ما يروج به في البلاد، وها هي إلّا هي التي تذبح بسببها الأعناق.

ويسرد لنا الراوي كيف تورّط السائق دحمان مع الحاكمية التي تواطأت مع نقاباتهم لكسر إضرابهم، واتهامهم بتخريب ممتلكاتها، وبعد أن جاء الفرج مع صديق له، عثر له عن عمل كسائق شاحنة، من الشاحنات التي كانت متجهة إلى بلدة نونة، وكان عددها خمسة عشر شاحنو كلّها محمّلة، ومنها أربعة مغطاة كليا من فوق، وكان دحمان أحد سائقيها، ولمّا رآها حظره الشك في ما تحمل كل هذه الشاحنات، حيث في بلاده بضاعتين فقط يمكن الخوف منها، ويجران البلاء للبلاد «**الغبرة نعم الكيف والشيرا، الحشيش بالعربية، وهل معقول أن تنقل خمس عشرة شاحنة لتقطع مساحة طويلة ومعقّدة بين السهل والجبل لنقل هذه الكمية الهائلة؟! وإمالا هذا تخريف منّي، حتى لو كنت محششا لا ينبغي أن يخطر ببالي أنّنا سننقل سلاحا مهربا، مَن أصحابه؟ ولمن سنسلمه؟ ولأي غرض يصلح هذا السلاح؟ إنّما كل هذا السلاح لماذا؟ تنفيذ جرائم أم تسليح عصابات هذا كثير!**»[3]، كل هذه الأسئلة طرحها الروائي على لسان شخصية دحمان، الذي أكله

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 102.

[2] المصدر نفسه، ص 102.

[3] المصدر نفسه، ص 106.

الشك والوسواس حول هذه الكمية الكبيرة سواء كانت حشيش أم سلاح، فكلاهما وباء على المجتمع، لكن إن سلاحا فهذا هو الأدهى والأمّر، لأن هذه الكمية كبيرة، فيما ستستعمل، هل لتنفيذ جرائم أم تسليح عصابات؟ فدحمان عادت إليه ذكريات أحداث مولاي بوعزّة، عندما شكّ أنّهم يحملون سلاحا بكمية كبيرة، فقد سمع أنّ جماعة «**استولت على بنادق القوة المخزنة هناك، وتمرّدت على ممثلي الحاكم، بعضنا اعتبر هؤلاء شجعانا وفكّر في الالتحاق بهم، غيره قال هؤلاء مغامرون، سيَفْنَونَ كما فَنَى من قاموا بانقلاب في مصطاف الصخيرات قرب العاصمية**»[1]، لكن هو التزم بالصمت وإغلاق فمه، هكذا إذن أخذت دحمان وساوسُه إلى أبعد تخمينات، لا سيما بعد مرورهم على نقاط الجندرمة الذين تعجّبوا لخمسة عشر شاحنة مع بعضها في نفس الخط، وكانوا قد «**ركّزوا على الشاحنات العارية وحدها، بينما نائب المعلم يلتصق بهم، ورشاهم فتجاهلوا المغطاة، أي أكرمهم، نحن السواق تعودنا على التدويرة ومن دونها لن تمر**»[2]، فالرشوة أو التدويرة كما يقال لها في المغرب أغمضت عيون الجندرمة عن تفتيش تلك الشاحنات، وهذا هو الحال بطبيعة الأمر في بلاد تنتشر فيها هذه المظاهر.

بعد هذه المجريات والأحداث التي كانت مع شخصية دحمان السائق، يعود بنا الراوي ليظهر دور النقابات والعمل الذي تقوم به اتجاه المنطَوِين تحت ظلّها، من خلال استرجاع دحمان السائق لشريط ذاكرته، والنقابة المنتسب إليها كغيره من السائقين، الذين هُضِمَتْ حقوقهم، «**شركة النقل التي عملت فيها سائقا مدة خمس سنوات بين الدار البيضاء وبني ملال، أشهرت إفلاسها، وسرّحت جميع عمّالها، لسبب لم نفهمه هكذا بكلمة صغيرة فاه البترون بها، المالك، وكأننا ذبّانْ نشَّ عليه وتفرّق، مع وعد بالتعويض في القريب العاجل، بعد عام لم يأت**»[3]، هكذا إذن ذهب تعب خمس سنوات

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 107.

[2] المصدر نفسه، ص 107.

[3] المصدر نفسه، ص 97.

هباءً منثورا، وتم تسريح كلّ العمّال بدون معرفة السبب، ومع الوعد بالتعويض من طرف مالك الشركة الخاصة بالنقل التي عمل بها دحمان، فبعد عام من الوعد بذلك لم يظهر لهذا المالك أي أثر، ولم يجد دحمان ومَن معه من الذين هضمت الشركة حقوقهم المالية لمدّة خمس سنوات إلّا اللجوء إلى العدالة التي كانوا يظنونها تطبّق شعار العدالة حقا «**لمّا ذهبنا إلى المحكمة واجهتنا حقيقة مؤلمة، النقابة تفاوضت بالنيابة عنّا، ساومت بنا، ستدفع لنا النفقات، وتنال هي ما سمّته حقّها في الدفاع عنّا، من دوننا ستأكلون الزلط، هكذا تحدّانا كاتب النيابة المحنّك**»[1]، فدور النقابة يتمثّل في الدفاع عن المنتمين تحت لواءها، فهي بمثابة محامي الدفاع عنهم، وتسعى جاهدة لخدمتهم والحفاظ على كرامتهم وحقوقهم المادية، وحصل العكس مع دحمان ورفقائه من السائقين الذين عملوا في تلك الشركة «**آخرها بلعت رزقنا، وتشردنا بلا حقوق، ثم التقطت بدلنا آخرين كَسّروا إضرابنا واعتصامنا أمام الشركة، شهر كامل تعاونت فيه السلطة مع سماسرة النقابة على كسر شوكتنا، هل رأيتَ مصير أن تطلب الزعامة؟ هكذا خاطبني بشماتة صاحبي**»[2]، هكذا إذن تحالفت السلطة مع النقابة التي كانوا يعتبرونها محامي الدفاع على تشريد العمال وأكل رزقهم وحقوقهم، فهذا كلّه بسبب الفساد والقوانين الداعمة له، فكيف لنقابة تمثّلك تبدأ هي بأكل حقّك وتشريد عشرات العائلات، بالتواطؤ مع من يمثلون السلطة، والتلاعب بمصير العمّال «**ورّطتنا النقابة لتشتهر على حسابنا من دون إضراب لن تأخذوا حقوق التقاعد، نريد الخلصة أولا، لا التقاعد، وتظاهرنا أمام الشركة، وجاء البوليس وجمعنا، وفي 24 ساعة قدّمونا للمحكمة بتهمة تخريب الملك العمومي...**»[3]، فالروائي من خلال هذا يريد توضيح كيفية خروج النقابة عن هدفها الأصلي الذي تأسست عليه وهو الدفاع عن المنتسبين تحت لواءها، لا التواطؤ والتقاعس وأكل حقوقهم وحتى إدخالهم السجن «**لفّقوا**

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 97.

[2] المصدر نفسه، ص 100.

[3] المصدر نفسه، ص 103.

لنا تهمة المسّ بالأمن العام للإيالة، والتطاول على رموز العاصمية العليا لأننا كما جاء في الاتهام، رفعنا لافتة نطالب فيها تدخل الحاكم العام أو سنبقى معتصمين».[1]

خامسا: أساليب السلطة في غلق الأفواه.

ذهب الروائي أحمد المدني في الرواية إلى الكشف عن ما وراء السلطة المرتدية قناع خدمة الشعب، والسهر على تلبية كلّ احتياجاته، في ظاهرها ذلك، أمّا الباطن فغير ذلك، وقد لجأ الروائي إلى إظهار ذلك بطريقة سردية عجائبية امتازت بتشويق القارئ إلى الأحداث، وجعله يغوص فيها بفكره.

سعى الروائي من خلال رواية في بلاد نون الولوج إلى موضوع يعد هو الآخر من المواضيع الحاسمة في بلده، وهو الأساليب التي تعتمدها السلطة في تمويه الشعب وجعله خارج مجال السياسة بالأخص، وترك الحرية الكاملة لمن هو فوق في تسييرها كما يشاؤون، وما على الطبقة الأخرى إلّا أن تُردِّد " **السمع والطاعة يا مولاي** ".[2]

وتستعمل الحاكمية العظمى تجاه شعبها أساليب لا تمتّ بأية صلة للإنسانية مثل ما جرى في بلدة نونة لما وصل موكب المعلم لمباركي، والتفّ حوله حشد كبير من السكان، جُلِبوا من قراهم منذ الفجر من طرف حرّاس « **اقتادوهم كالمساجين، كبار السن منهم أركبهم جرارات وعربات، وشبابهم أُمروا بالسير ليلا راجلين كي يصلوا في الصباح الباكر، والويل لمن تقاعس، يعلمون مَغبّة أَن يتخلفوا أو أي عصيان، لذلك يتركون المخازنية يتحكمون في حركاتهم وسكناتهم بقضبان زيتون رفيعة، وكلّما تدافعوا أكثر مما يجب، استسلموا يهشون عليهم كالغنم فارتّدوا سالمين**»[3]، فالروائي هنا يريد أن يجعلنا نتساءل، إن كان هؤلاء الساكنة بشر، أم عكس ذلك، فالبشر يملكون عقولا يستطيعون التمييز بها بين الحق والباطل، إذن لا يعرفون أنّهم بشر لهم حريات وحقوق لا

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 103.

[2] المصدر نفسه، ص 42.

[3] المصدر نفسه، ص 63.

بدّ من المطالبة بها، فقد أصبحوا عبيدا يفعل بهم رجال السلطة ما يشاءون بمختلف أساليب الترهيب«**بقوا لا يفهمون حيث طلبت منهم القوة، أدخلوا بيوتكم يأمركم سيد القايد، وإلّا سيقطع عن بيوتكم الماء والضوء، وعن العاطلين يقطع دقيق وزيت وسكر المعاونة، وحتى على العمّال مؤونة الإنعاش الوطني، و، و، و،**»[1]، وفي هذه البلدة الموجودة بين الجبال، لا يهم سكانها شيء إلا كيف يقتاتون ويوفرون غداءهم وعشاءهم، إذا عصوا رجال السلطة فإنّهم سَيُجزَون أشرّ عقاب، ولا سيما من سيدهم القايد، الذي في حالة عدم الرضوخ لأوامره سيقطع عن مساكنهم الماء والكهرباء، وعلى عاطليهم المواد الأساسية، وغيرها من الضروريات للعيش، فهم يخافون من القايد أشدّ خوف «**أمّا هم، هؤلاء من أتحكّم في رقابهم كما أشاء، فلا يجرؤ أحد أن يسميني بغير سيدي القايد، يرعبهم قدومي من أبعد نقطة، كيف بحضوري بينهم وسماع صوتي يلعلع**»[2] فالقايد ما هو إلّا مثال واحد لرجال السلطة في تلك البلدة، فناهيك عن البقية وأساليبهم إذن، فهذا القايد، أو كما يقول له ساكنة نونة سيدي القايد، اعتبر هؤلاء البشر أغناما عنده لا بدّ من طاعته وتنفيذ أوامره «**كيف يجرؤون إدّعاء هذا ضد الذي طوّع السكان هنا فحوّلهم إلى نعاج يثغون؟! لم يطل الوقت لأكتشف أنّ هذه النعاج منافقة مبالغة في تظاهرها وسلوكها معي**»[3]، فرغم أنّ القايد حوّل بكل أساليبه السكان في بلدة نونة إلى نعاج كما يقول، إلّا أنّه يعتبرهم منافقين، وهم يتظاهرون فقط بالطاعة لأوامره.

وأورد الروائي أسلوبا آخر، أو طريقة أخرى يستَغبي بها رجال السلطة سكان هذه البلدة المنغمسين في عاداتهم وطقوسهم، وعيشهم على أمل التبركات التي يريدنها لَلاهم هذه حقيقة أم خيال أو حيلة من حيل رجال السلطة عليهم، فصاحبة المقهى الذي يرتاده الكثيرون المعلمة هنية كان «**أحيانا يساورها شكٌ عميق في حقيقة وجودها، تفكّر أنّه**

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 65.

[2] المصدر نفسه، ص 230.

[3] المصدر نفسه، ص 230.

وجوده خادع ومصنوع، أنّ الثلاثة، تواطؤوا على اختراعها، كي ينهبوا البلدة، وينصرف السكان عن فضائحهم، لينشغلوا بهذه الأفعى»[1]. فهنية هي الوحيدة في تلك البلدة، مَن كان يساورها شك في حقيقة وجود للا نونة في الجبل، وكانت تفكّر دائما أنّها مجرد حيلة وخرافة اصطنعها رجال السلطة الثلاث في البلدة (القايد، عميد الأمن، قائد الجندرمة)، ليستغلوا انشغال الناس بها وينهبوا البلدة ويبعدونهم عن فضائحهم، ولم تتحاز هذا الرأي حتى بلغ السيل الزبى وقالت «**إنّ الشعب (الشعب؟) انتفض وثار ضد القايد، وهو يريد أن... بنفسه للا نونة، ويحمّلها رسائل ومطالب مخصوصة لسدة الحاكمية العليا بعد أن عِيل صبره، وأنّه هو وإن لن يُلبِّ طلبه سيصرخ مثل جميع الشعوب"ارحل" وبما أنّ للاه منونة هذه خرافة، حكاية يلهي بها القايد السكان»**[2]، وهنا يبين لنا الروائي الخيط الأسود من الأبيض، فللا نونة إذن ما هي إلاخرافة وحكاية من صنع القايد ليلهي بها الشعب، وأمام كلمة الشعب وضع الروائي علامة استفهام، فهل هناك شعب حقيقة؟ وإن كان موجود أين كان منذ وقت طويل، أليس مثل كلّ الشعوب؟ وهل سيصرخ مثلهم إن لم يلبي طلبه حاكمه ويقول له "**ارحل، ارحل**"، بعد أن بلغ أقصى مستويات الاستغباء من طرف رجال الحاكمية العظمى الذين بلغ بهم الحدّ إلى جعل أعناق سكان بلدة نونة تكاد تتكسر من شدّة تعلّقهم بالجبل، وبساكنته الخرافة للا نونة، التي كانت مجرد حكاية أو طعم لصرف الشعب عن القضايا الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية وغيرها التي تجري في البلاد، وجعله في منأى عنها، فلو كان هذا الشعب يفكّر بعقله، ويستقصي الحقائق لما وصل إلى هذه المَواصل، وتقديس خرافة القايد الذي وصفهم **«هذا الماعز يقدّسها، وصل بهم الأمر إلى توزيع كاسيتات بأحاديث يزعمون انّها مسجلة بصوتها، هي طبعا تجارة مربحة، أشك أنّ قائد الجندرمة، وعميد الأمن متواطئان في ترويجها يستفيدان منها مالا وفيرا، وللعميد رأي شيطاني، يقول من الأفضل أن يتلهى القوم بهذا العلف يقصد به**

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 236.

[2] المصدر نفسه، ص 275.

السيدة الغامضة بما يشبه التعبّد على أن يسألوا ويطالبوا ويرفعوا أصواتهم بالاحتجاج»[1] فقد وصلت المواصل بالسكان إلى ما يشبه التعبّد بمولاتهم للا نونة، الخرافة والتجارة المربحة لرجال السلطة خير وأنفع من أن يسأل ويطالب السكان بحقوقهم أو يرفعوا أصواتهم من خلال الاحتجاجات.

فبالإضافة إلى هذه الأساليب التي يستعملها رجال السلطة في إسكات الشعب وتمويهه، وإبعاده عن كل ما يجري في الخارج والداخل من تغيرات، فهناك أساليب أوردها الروائي في الرواية من باب الاعتبار، ليعتبر كل من يساوره عقله التحريض أو طلب الزعامة، ونزعها من سلالة الحاكم الأعظم لبلاد المغرب، فإنّه سيلقى أبشع طرق التنكيل والتعذيب أمام الملأ، وكان ورود هذه الأمثلة من خلال استرجاع الشخصيات لهاته النماذج التي شهدت من التعذيب أقصاه على يد الملوك والحكّام.

لم تقتصر أساليب رجال الشرطة التابعين للحاكمية العظمى على الترهيب والأمر فقط، بل حتى استعمال أسلوب **الحيلة**، لأنهم يدركون أنّ الساكنة يصدقون كل شيء يسمعونه أو يرونه، فحبهم لمولاتهم للانونة وطلب التبرك منها جعلهم يقدّسونها، ويجعلونا لها موسوما، ويوما خاصا بها، فيصطفون في هذا اليوم في طابور كبير ليُوصلوا لها طلباتهم وأمنياتهم، وكل شيء يتوقف في ذلك اليوم، إلّا مهمة المعلم لمباركي باعتبارها أمر من الحاكمية، ولا بدّ من تنفيذه بسرعة، لكن هذا الطابور كان لهم عائقا لسدّه الطريق، فلجأ رجال السلطة إلى أسلوب الحيلة لتفريق هذا الطابور، وكان من السهل ذلك، لأنّ هؤلاء السكان الغُفَل، والذين لا يفكرون بعقولهم صدقوهم « **شوف أسيدي يمكن أن نفرقهم بعض الوقت لتنجز الأشغال، ولا تتأخر أنت عن تنفيذ مهمتك، التي تقول أنّها من صميم أمن وصلاح الحاكمية، وبإيعاز خفي منا سنرسل الليلة من يصعد إلى الجبل، ستكون الأجساد قد تعبت من طول الوقوف والأجفان تغمض وحدها من النعاس، سينادي المنادي يا أهل لَبْلاد أنا من ترسلني إليكم للا نونة كل عام لنقل طلباتكم، هي تعلمكم**

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 231.

موسمها هذا العام سوف يتأخر عن موعده»[1]، فالروائي يريد أن يوضح أنّ هؤلاء السكان عبارة عن قوم يسمعُ فقط، ليس له الحق في الكلام والنقاش، فحتى حِيَل رجال الشرطة تنطلي عليهم بسهولة، ويمتثلون لهم في أبسط صور الطاعة والخضوع، فالمهم عندهم البقاء على قيد الحياة آكلين شاربين بأي طريقة في هذه البلدة الساكنة «**أهلها فاترون، والأعمال هنا قليلة، متقطعة وحسب المواسم، وهم سواء عملوا، أو تعطّلوا بطريقة ما يعيشون كما عاش أو مات أجدادهم السابقون»**[2]، فهم راضون بهذه الحياة التي في سطح الجبل، يؤمنون أنّ الذي خلقهم لن يتركهم أبدا فإيمانهم به قوي، وما عيشهم في هذه البلدة إلّا من قضائه وقدره سبحانه وتعالى.

أ- مصير الروكي بوحمارة:

استحضر الروائي هذه الشخصية المعروفة في المغرب من خلال شخصية كبور الذي لما تم القبض عليه من خلال القوات الأمنية في أحداث الدار البيضاء فاستذكر صورة بوحمارة، أنّهم «**سيطوفون به بين الأزّقة والأسواق كذلك كان حكام فاس يفعلون عندما يوقعون بالمجرمين قبل أن يرموهم إلى الهلاك، سيضعونه في قفص مثل قرد ويتركون العوام يرمونه بالأزبال والفضلات، ربما ينتظره مصير الروكي بوحمارة»**[3] فكبور لما كان في قبضتهم شعر أنّه سيلقى العذاب الذي كان حكام فاس ينفذونه ضد المجرمين الذين يمسكون بهم، فقبل موتهم، يضعونهم في قفص ويجوبون بهم القرى والشوارع أمام الملأ الذي يرميهم بالفضلات والأزبال، وهو ما حدث مع الروكي بوح مارة الذي تعرّض لأبشع طريقة في التعذيب والتنكيل فهي طريقة لا مثيل لها «**الروكي الجيلالي الزرهوني، مَنْ تمرّد على السلطان العلوي عبد العزيز، وأشعل الفتى ضدّ حكمه في شرق المملكة وشمالها واستمالة قبائل الريف والمغرب الشرقي وتحالف مع الاسبان**

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 160.

[2] المصدر نفسه، ص 229.

[3] المصدر نفسه، ص 34.

والفرنسيين في آن، بادلوه السلاح بالمصالح العسكرية والتجارية، الجيلالي الزرهوني الملقب بوحمارة الذي يلحق الهزائم والعار، ويؤلب الأعيان والرعايا على السلطان الشرعي، ينتزع الحكم الفعلي مزاحما بالقوة والحيلة والدهاء»[1]، فهذا هو إذن الروكي بو حمارة، الذي تحالف مع الأسبان وفرنسا، وألحق بالحاكم الشرعي الكثير من الهزائم، وكان يستعمل الحيلة والدهاء وحتى القوة لهدف واحد أسمى وهو اعتلاء كرسي العرش والتربع على المملكة المغربية، لكن في الأخير لقى أبشع مصير، بعد القبض عليه ووضعه في قفص أمام الملأ ورميه بالفضلات والأزبال،«**وقع في قبضة السلطان عبد الحفيظ الذي أعدمه بالرصاص يوم الخميس 9 سبتمبر من سنة 1909»**[2].

ب- مصير نص بلاصة:

استحضر الروائي أيضا شخصية معروفة، يضرب بها المثل في المغرب، وقد استحضرها مع شخصية المعلم لمباركي، الذي أُوكِلَ بمهمة من الحاكمية العظمى، المهمة التي لم يستطع أن يسأل أو يتفاوض عنها، لكن لم يكن له الخيار بين الرفض والقبول والتفاوض، لأنّها جاءت من عند الحاكمية العظمى بحدّ ذاتها، أرسلت له وسيطا ليبلغه بها ويعلمه بمكانها، فلمّا أراد المعلم لمباركي السؤال عنها، وعن كيفية تنفيذ هذه الصفقة، رجعت لمخيلته عن ما جرى وتداوله كبار التجّار عن رفيقه في المهنة «**مقاول مراكش الكبير، الشهير، "بنص بلاصة" تأخرت عليه مستحقاته من صفقات مع الحاكمية العظمى، استشاط غضبا حين ذهب يطالب من مسئول كبير في استخلاص نفقاته، أَزْبَد وأَرْعَد وهَدَّد»**[3]، فنص بلاصة أورد الروائي مجرد مقاول في مراكش، كانت له مستحقات من صفقاته مع الحاكمية العظمى التي تدفعها له، ولمّا ذهب يطالب بها، أجابه المسؤول أنّه هو الآخر مجرد خادم لدى الحاكم العام، وأنّه سينقل انشغاله له، لكن وقع لنص بلاصة ما

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، 35.

[2] المصدر نفسه، ص 35.

[3] المصدر نفسه، ص 119.

لم يكن في الحسبان «**نُقِل "النص" من بيته الفَاره لِيُلْقَى به كما جاء في القرآن الكريم، إلى غيابة الجبّ، عبارة عن بنيقة مظلمة بمترين، حُبِسَ فيها لتجاسره على أسياده، ووصلته رسالة تقول أو تبوّل عليه، يا ابن الأسافل من أين لك أن تملك وتطلب، أليس من هبات الحاكمية العظمى؟! لم يجرؤ أحد أن يترجّى له، إلى أن أشفع له صاحب الشأن، بعد أن لحس جميع أملاكه، ومات غما بعدها بأيّام**»[1]، فنص بلاصة إذن لقيَ هذا بالمصير البشع واللاانساني فقط لأنه ذهب للحاكمية العظمى، وطالب بمستحقاته وتعبه الذي ذهب هباءً منثورا، وأخذه منه صاحب الشأن من طبق من ذهب، فهل كل من سيطلب حقّه يلقى مصير نص بلاصة؟!

سادسا- عيون السلطة المبثوثة هنا وهناك:

أ- شخصية ساعي البريد (حمّان):

لجأ الروائي إلى إدراج شخصيات أخرى من أجل كشف خبايا أخرى من الممنوع معرفتها من طرف الشعب عن حاكميتهم العظمى، التي تسعى جاهدة لمعرفة كل صغيرة وكبيرة عنه من خلال إدخال الغرباء على كل بلدة ومدينة لجمع أخبارهم ورؤية ما يحدث هنا وهناك وإخبار الحاكمية بذلك، بمعنى أنّها ترسل أشخاص بصفة متجسسين أو مخبرين لمعرفة كل شاردة وواردة عن شعبها.

فشخصية **ساعي البريد حمّان** مثلت هذا الدور وتقمّصته، فساعي البريد في كل بلدة يذهب إليها يعرف ساكنيها وديارها أحق المعرفة، حتى لو كان ليس منها مثل حمّان «**يأتي مقبلا من أقصى الطريق العام، يدير ساقيه بتراخ، ظهره متقوس، ويداه تقبضان على مقود دراجته الهوائية، وحده يمشي في طريق مفتوحة، خالية، وهو في وضع من في نزهة، لا شيء ينتظره، يتمثّل له مزهوا، رخي البال**»[2]، يعمل كساعي بريد في بلدة نونة، التي أُرسل إليها بعد أن أصبحت مشهورة بعد أحداث مارس 1973- مولاي بوعزّة

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 120.

[2] المصدر نفسه، ص 217.

– فهو عين الحاكمية العظمى في هذه البلدة لأن كل ساعي بريد «**يعرف جيّدا سكان منطقته حيّة، وأحياء أبعد قليلا، أحيانا، يعرف القاطنين واحدا، واحدا، وفي هذه البلدة بالذات، تعدادها سكانها محدود، ومراسلاتهم، هي كذلك من القلّة، حيث تُعرف ما أن تصل إلى أصحابها، وهؤلاء مرموقون، ويخشى جانبهم، هم في عرف عرف باقي الساكنة يتلقون رسائل من خارج هذه الزاوية المحشورة بين الجبال شبه مقطوعة عن الدنيا، لولا أنّها أصبحت بين عشية وضحاها على كل لسان بعد حوادث مولاي بوعزّة**»[1] فسكان بلدة نونة محدود عددهم، فساعي البريد حمّان يعرف قاطنيها جيّدا، وحتى الرسالات التي تصل إليها قليلة وأناس محضوضين وهم الطبقة المرموقة، أمّا باقي الساكنة لمّا تصلهم رسائل من العاصمية كأن ساعة الإعدام حلّت على تعبير ساعي البريد حمّان الذي يحمل مثلها ويحافظ عليها أكثر من روحه لأنّها أتت من العاصمية «**يحملها أهل المضر في أقفافهم وشواري دوابهم قد حزموها داخل صرر محكمة في صدورهم حتى إذا عادوا إلى قرون جبالهم وقفار بواديهم تنادوا على أهلهم، وفقيه الجامع وعرّافتهم بالحضور وبعد بسملة وعوذلة واستغفار فتحوها بأيد ترجف، وقلوب ترتعش خوفَ أن يقفز منها ما يضرهم، فيهم بحكم عشرة تحكم العاصمية فيهم وسيف الحواضر على رقابهم لا يأمنون شرّها، أقصى يدارون**».[2]

يريد هنا أن يوضِّح لنا الروائي كيف الساكنة يهابون من رسائل يحملها ساعي البريد إليهم، من العاصمية، لأنّها على الأكيد تحمل أمرا خطيرا سينجرّ عليه عقاب عسير، فحتى الأيدي تفتحها وهي ترجف، والقلوب ترتعش منها، لأنّهم يعرفون سيف العاصمية والمدن الكبرى بها على رقابهم، فهم ذلك البشر الفائض القابع بين التلال والجبال، وساعي البريد يستطيع بحكم خبرته أن يعرف الرسائل المهمة من العادية عن طريق تقليب ذلك الظرف وحتّى شمّه، فإن عرف أنّها من مراكش أو العاصمية يضع قفازا على يديه وهو يضعها

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 218.

[2] المصدر نفسه، ص 219.

داخل حقيبته الجلدية فهو «**يحرص أن لا تختلط بما يبعث العموم، من يسميهم أكاحل الرأس، يشمّ منها رائحة الزرائب والأسواق، لا، بل يحدث له أنم يرمي هذه أو يجاملها مدّة**».[1]

فساعي البريد يعدّ من خدّام الحاكمية العظمى، وعَينها في البلدة التي ترسله إليها للتجسس من خلال الرسائل على سكانها، ليكشف إن كانت لهم علاقة في التحريض والدعوة للاحتجاجات والتظاهرات المطالبة لرفع التهميش وإعطاء الحقوق، والعيش الكريم، فكل من يتلقى رسائل وبالأخص إن كانت من الخارج فهو يريد القيام بفعل ضد العاصمية، فهناك ساعي بريد وشى بأستاذ تأتيه رسائل من الخارج! وهو «**الأستاذ محفوظ هو الضحية، والسبب ساعي البريد، وشى به عند الأمن الخاص، أين يوجد الأمن الخاص؟ وحده الساعي يعرفه**».[2]

فالروائي هنا يبرز أن هناك علاقة وطيدة بين ساعي البريد والأمن الخاص، الذي تساءل عن مكان وجوده الذي لا يعرفه إلّا الساعي وحده، فهنا إظهار أنّ هناك أمن خاص في بلاد المغرب لا يعرفه سوى المخبرين والجواسيس على حدّ تعبيرنا، الذي يعملون لديه تحت ظل سعاة بريد، وهؤلاء مثال فقط، فهناك مهن أخرى وأعمال يعمل أصحابها العمل نفسه –مخبرين وجواسيس– فساعي البريد الذي وشى بالأستاذ وزعم أنّه يحمل له رسائل من الخارج، وأنّ له علاقة بفتنة الدار البيضاء الثانية 1981، فهذا الساعي شهد عليه وكافؤوه لأنّه أقرّ أنّه «**برِجْلَيَّ هذين أحملها له، أمدّ له الرسالة وهو أنفه في السماء، لا يتفضل ولو بدرهم، عنده أنّه أكبر من الأرض التي نمشي عليها لأن رسائله تأتي من الخارج**»[3]. فالحاكمية العظمى تحمي هؤلاء مثل هذا الساعي تحت جناحيها باعتبارهم عيونها التي ترى من خلالهم الشعب وتستسقي أخباره، فساعي البريد حمّان أُجبِرَ على أن

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 220.

[2] المصدر نفسه، ص221.

[3] المصدر نفسه، ص 221.

يعمل هذا العمل مقابل خدمة أسداها له قايد المنطقة الإدارية حينما كان في ورطة، وأُتّهم بأنّه متمرد مع المتمردين ضد الحاكمية العظمى.

يقول الساعي حمان: **«وأديت عن هذه الخدمة ثمنا باهظا أن أتحول إلى مخبر له، أنقل أخبار نونة، وكل شاردة وواردة في نون، وأحيانا أفتح رسائل تصل إلى إدارات مصالح خارج مسؤوليته، يريد أن يحيط بها علما كلها، ليكون السميع العليم عليه لعنة الله»**[1]، فهذا الساعي أجبر على خدمة لم تكن له في الحسبان، ولما حمل رسالة من الحاكمية العظمى لنونة القابعة في جبلها، فأصبح سكان نونة يبحثون عن ما جاء في تلك الرسالة لأنها وصلت لمولاتهم من الحاكمية العظمى نفسها، فأمر الساعي كما جاء فيها: **«عليك أن تبقى في طوارئ، وأنا دائما في طوارئ لا وقت لعملي، لا تسافر!؟ وأين يسافر مقطوع الجذر محدود الدخل مثلي؟، لا تمرض!؟ ها ها، كسائر عباد الله هنا، لا فرق بين المرضى والأصحاء»**[2]، فلأهمية هذه الرسالة طلب منه أن يبقى في حالة طوارئ، وعدم السفر والأدهى والأمر طلب منه ألا يمرض مثل بقية الناس، لتبقى عينيه مفتوحتين طوال الوقت، ويجمع الأخبار التي تدور في البلدة، وطلب منه أيضا **« لا تبتعد كثيرا عن المكتب! المكتب هو سكني، إياك والاختلاط بالغرباء! وكذلك أن لا أعدى بالزكام أو أصاب بالإسهال سيعوقانني عن القيام بواجبي!»**[3] فأمام هذه العبارة وضع الروائي علامة تعجب، ليشير إلى عمل ساعي البريد حمان، هذا النوع من العمل هل يعتبره واجبا حقيقيا، أم هو تجسس وتتبع كل شاردة وواردة يقوم بها السكان في هذه البلدة، ومعرفة ما يرسلون في الرسائل وما يستقبلون منها **«تجسست مرة على رسالة معلم كتب لحبيبة له تسأله عن حالته الصحية، فأجابها ببيت شعري أعجبني، تأثرت لصاحبه كثيرا فحفظته على الغيب قال:**

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 227.

[2] المصدر نفسه، ص 227.

[3] المصدر نفسه، ص 228.

تعجبين من سقمي/ صحتي هي العجب/ تضحكين لاهية/ والمحب ينتحب».[1]

ب- شخصية القايد:

اتخذ الروائي أيضا من شخصية القايد في الرواية ليرمز بها أيضا إلى عيون السلطة داخل المجتمع وتتبع أخباره ومشاهدة ما يحدث في كل مكان في هذه البلاد التي أصبحت تعج بالذين يتجسسون على الشعب ونقلها للسلطة، كما جاء في شخصية دحمان السائق الذي اتصل به الشخص الذي وفّر له عمل، وأقرّ بأنّه «**معروف عندنا في آسفي بقربه من رجاله، أي يتجسس على السكان، على العمال، له نساء في الحمام، والسوق البلدي، وفي المحطة الطرقية، يشمون رائحة من يحشرون رؤوسهم في السياسة عن بعد كيلو متر**»[2]، إذن فهذا هو الواقع الذي يريد الروائي أن يعرفه المجتمع المغربي، وبخاصة المناطق التي شهدت تلك الأحداث، فقد بقيت تحت أعين السلطة، وأرسلت إليها رجالها ليكون كل شيء تحت سيطرتها، مثل القايد الذي أقرّ لمّا أرسلته السلطة إلى بلدة نونة أنّه غير راض بالعمل فيها «**منذ عينتني العاصمية هنا، همّي كله انتهاز فرصة تنقلي إلى مدينة ساحلية، لَكَمْ أحب البحر، في الجبل أحس يضيق شديد، خصوصا العيون تحرسني وتمشي معي أينما حللت، رغم أنّي المكلّف بتتبع البشر هنا ليكون جميع الساكنة، ذكورا وإناثا تحت مراقبتنا، تحت من يسموننا رجال السلطة، نحن ثلاثة، قائد الجندرمة، عميد الأمن، وأنا القائد الإداري، علاقتي مباشرة مع العباد**»[3]. فحتى عيون السلطة مثل القايد، لهم عيون تراقبهم عن كذب، فعلاقة القايد بالعباد مباشرة، وهو ما يتيح له ويسهل عليه عمله في تلك البلدة، فرغم أنّه يتتبع البشر هنالك ويترصد أخبارهم وأحوالهم، إلّا أنّه هو أيضا مُراقَبٌ من طرف رجال السلطة من هم مثله – قائد الجندرمة

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 227.

[2] المصدر نفسه، ص 103.

[3] المصدر نفسه، ص 229.

وعميد الأمن- «**يرسلان عن تقارير منتظمة إلى إدارتنا، ويتهمانني بالرشوة**»[1]، فهذا هو الحال إذن الكل مراقب ومحاصر، فعيون السلطة إذن مبثوثة في كل شبر في هذه البلدة التي أصبحت مشهورة بين ليلة وضحاها، وانكبّت عليها كل العيون تحرسها، لتجنّب أحداث أخرى فيها، فكل «**هذا البلاء بدأ مع تلك الانتفاضة، جلبها مجانين ومساخيط الحاكم من الدزاير لو كان لهم غرام واحد العقل والفطنة لمّا فكّروا بما سمّوه ثورتهم من هذه الجبال المنسية وبين الطرق والشعاب الحلزونية، لذهبوا إلى المدن، حيث البشر يغلي والثكنات والشركات والمصانع، هناك قوة النظام، وليس فس هذه الخرائب تتناثر فيها فرقة مخازنية، وحزمة جندرمة، وبضعة مخبرين**»[2]، إذن فقد سلّطت الحاكمية الضوء على تلك البلدة، لمّا شهدت تلك الانتفاضة، فأصبحت بلدة نونة بعدها مرتعا للقوة من فرق المخازنية والجندرمة، والمخبرين، أولئك الذين يترصدون كل شاردة وواردة فيها، لا سيّما بعد أن أصبح فيها متعلمون «**يصرخون أمام البرلمان، ولا يعبؤون بالحكام، حتى ونحن ننزل فيهم ضربا وتهميشا للضلوع لا يروعون، هنا تصلني تقارير أنّهم يجتمعون في الغابة، كذلك عند تلك الأفعى اسمها هنية**»[3]، فقد كثرت العيون المبثوثة في البلدة بعدما أصبح لديها أبناء متعلمون، يصلون إلى البرلمان، ويناقشون ويرفضون ما تطرحه الحاكمية العظمى، التي تنزل عليهم بالضرب ومعاقبتهم لتصديهم لها، فلا كلمة تعلو فوق كلمتها، حتى أنّهم أصبحوا يستعملون آخر الصيحات التكنولوجيا للتعبير عن آرائهم تجاهها، فحتى القايد أكّد عجزه عن مجاراتهم «**فكيف أوقفه أنا في الألفية الثالثة، والصبية ينشرون أعراضنا وأي هفوة منا تجدها في اليوم التالي في الفيسبوك؟ لوكان هذا الفيسبوك رجلا لمّا تردّدت في خنقه، خزان أكاذيب!!**»[4] وأصبح رجال السلطة في

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 230.

[2] المصدر نفسه، ص 232.

[3] المصدر نفسه، ص 231.

[4] المصدر نفسه، ص 231.

هذه البلدة يعقدون اجتماعات تكاد يومية، مع كل المخبرين المبثوثين في البلدة، فالعميد مثلا «**يستقبل مخبريه ينقلون له ما يروّج له سمِّيعة يتناوبون على الجلوس هنا**»[1].

سابعا- تعزيز النزعة القبلية والاهتمام باللغة الأمازيغية:

الروائي أحمد المديني في هذه الرواية أراد أن يدخل إلى عالم مملوء بالكثير من الأمور والمواضيع التي لا يمكن التكلم عنها، لأنها تنتمي إلى قاموس ما هو ممنوع أو محظور في المجتمع المغربي، وبالأخص ما هو سياسي، لأنه إذا تكلم عن السياسة في المغرب، فإنّه سيتكلم مباشرة عن حكامها وحكمها ونظام الحكم هناك، حتى وإن لم يقصد ذلك أو قصده، ومن خلال ما ورد في الرواية، يظهر ويتضح لنا أنّ المجتمع المغربي مازال ينتشر فيه مصطلح القبيلة، رغن أنّه في العصر الحديث، أصبحت كل البلدان تعيش في اختلاط عام، فليس هناك فرق بين عربي وأعجمي في أي دولة، فالدولة العربية يعيش فيها أجنبيون، والعكس صحيح فملايين العرب يعيشون في الدول الأجنبية.

فالروائي في هذه الرواية تطرّق لموضوع القبيلة من خلال شخصيات الرواية، فكل شخصية فيها، تذكر اسم القبيلة التي تنتمي إليها، وكل من يدخل بلدة أو قرية غير قريته يعدّ غريبا بحسب الحاكمية العظمى، ويتّضح أنّ هذا نوع من تعزيز وتكريس النزعة القبلية، والانغلاق في البقعة التي يعيش فيها الفرد، أم للحاكمية العظمى هدف ضمني تسعى إلى تحقيقه؟ فشخصية **كبور** مثلا، كان لها دورا مهما في رسم أحد معالم قبيلة من قبائل المغرب الأقصى، وهي قبيلة **آيت واغن**، فـ**كبور** هو «**ليس إلا نسّاجا في قرية بزو، مخبوءة في أكناف وبين مرتفعات جبال الأطلس، تحديدا من قبيلة (آيت واغن) بنواحي أزيلال، تشتهر يصنع جلباب رفيع يُنسج من أجود الصوف**»[2]. لكن كبور لما دخل إلى بلدة نونة، كل من يراه فيها يعتبره غريب، ففي هذه البلدة كلما أتاها فرد جديد، اعتبروه غريبا عنهم كأنّه فضائي، بالإضافة إلى أنّه يصبح مشكوكا فيه، يقاد فورا للقايد

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 235.

[2] المصدر نفسه، ص 28.

لاستجوابه، فكبور «**زيادة على غربته، أيقن أنّه سيصبح مشكوكا فيه، لا تستحب معاشرته، وعين السلطة باتت عليه**»[1]. فالسلطة في هذه البلدة بالذات تحاصر كلّ من دخل إليها أو خرج دون إذنها، ولها أعين مبثوثة في كل زاوية فيها، ولكن كبور ليبقى في البلدة أنكر من أين جاء، وسعى لانكار أصله، فهو ادّعى أمام القايد أنّه من قبيلة شريفة، وليست كما عرفنا أنّه من قبيلة آيت واغن، لأنّ هناك تمييز بين القبائل، فهناك قبائل عادية، وهناك قبائل لها باعها وصيتها في كل مكان، «**وبالمجمل ادعى أنّه قادم إليهم من قرية القليعة الواقعة بعيدا، شمالا، أعلى حاضرة فاس، في قبيلة بني زروال، شمال بلدة غفساي، وزعم معولا على شقرة بشرته الخفيفة لتساعده أنّه من شرفائها، هم مشهورون ومقدرون بين قبائل جبالة باعتبارهم من أسباط الرسول**»[2]. وهذا أدى إلى تخفيف شكوك القايد حوله، وساعد قبوله ويسّره لدى السكان في هذه البلدة، ولكن مهما ادّعى وأخفى أصله بقي غريسبا بينهم، فصار يردد: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وهو فعلا غريب ولكن بمعنى غير الذي جاء في الحديث، يتخفّى داخل عباءة هذا الكلام، لذا يردد ويكرر ويطيل: غريب، عابر سبيل أنا**»[3] ولكن كيف يكون الانسان غريبا عابر سبيل وهو في وطنه؟

أما شخصيتا يطو، وحمّو، فهما شخصيتان كان لهما دور في أن للمغرب الأقصى قبائل، وكلٌ يحتفي بالقبيلة التي ينتمي إليها، لكن أراد الروائي من خلالها فكرة أنّ هذا البلد بلد واحد، وشعبه شعب واحد، كل فرد فيه له الحرية في العيش حيثما شاء، ومتى أراد.

«**نحن من أبناء هذه الأرض، نمشي فيها ونتنقل بوجوهنا، وأسماؤنا، وأسماء قبائلنا تكفيها، أنا من آيت عتاب، من جماعة تاوزة**»[4] معنى هذا أنّه رغم انتماءهما لقبيلة معينة، فهما لهما الحق أعيش في أي مكان في هذا البلد، والتكلم بأي لغة يريدان؟، ففي بلاد

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 36.

[2] المصدر نفسه، ص 36.37.

[3] المصدر نفسه، ص38.

[4] المصدر نفسه، ص 57.

المغرب هناك لغتان أساسيتان وهي العربية، والأمازيغية، فيطو وحمو لمّات وصلا إلى بلدة نون، والمناطق المجاورة لها،وجدوا سكان هذه المناطق تتكلم الأمازيغية، فهذه اللغة منتشرة في قبائل بلاد المغرب الأقصى «**ساعدنا أنّ كثيرا من سكانها إما أمازيغ شلوح مثلنا يتحدثون لغتنا، ومنهم عتابيون نازحون من جماعة مولاي عيسى بن دريس، وىيت بوزيد**»[1]، والحاكمية العظمى تهتم كثيرا بهذه اللغة، لأنها تعتبرها امتدادا تاريخي وتراثي عريق للبلد، واهتمامهم بالقبائل دليل على ذلك، فالسكان هنا يتكلمونها بكل حرية، وحتى نظم الشعر بهذه اللغة، مما يوحي أنّها متجذرة في كل فرد، فيطو وحمّو كانا يتغازلان بالأمازيغية، يقول وهو يغرد في أذنيها بغزل أمازيغي:

«أزين نليف أنوا تقس كذتوين/ تتاغ أربي ذناش اثغيوين»

«جمال حبيبي شعاع يؤلم عيني/ يا إلهي لو يكون من نصيبي»

وبدورها، رغم حياء غشاها، ردّت المجاملة بأحسن منها:

«أيو راينو يشارس لحوب / إذكان وزماغ أذنيغ سان لحب ميدن»

«قلبٌ مثخن بحبك ممتلئ جنباته / لا مزيد حبيبي لحب أنت لست صاحبه».[2]

فالأمازيغية إذن لغة منتشرة ومتداولة بين الشعب في المغرب. فالروائي هنا أدخل هذهى اللغة في كتابته ليبيّن للقارئ، أنّ الشعب المغربي له جذوره الضاربة في عمق التاريخ، وأن هذه البلاد بلاد أمازيغ برب، واهتمام الحاكمية العظمى بهذه اللغة أكيد له هدف ضمني قد يكون سياسي أو تاريخي أو ثقافي ولا سيما أنّ جاراتها الجزائر، تونس، الصحراء الغربية، هي قبائل أمازيغ لهم لغة أمازيغية عريقة.

فقد جعل الروائي شخصية سلام الحلايقي أيضا شخصية تتكلم الأمازيغية من جهة والعربية من جهة أخرى، فهو إذن يمزج بينهما.

«إرقاغاصن عماس أرضا أذريذ رقف / وركيغ بور جساب إوور أذ نخطف».

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 58.

[2] المصدر نفسه، ص 56.

«كنت منيعا، هيهات للحب أن يخطفني/ ما كنت أحسب أنّ القلب يخطف».

«أزين نليف أنواتقس كذتوين/ تتاغ أربيذناش اتغوين».

«جمال حبيبي شعاع يؤلم عيني/ آه يا إلهي لو يكون من نصيبي».

«إيراكيغ أذريغ مشاروخ اذهويغ/ ذمشند ترضا كميغ أتعذيغ ».

«من أجلك أذرع المكان جيئة وذهابا/ جئت طالعا فوجدتني هابطا».[1]

ثامنا- تدخل الحاكمية العظمى في الأمور الدينية:

يواصل الروائي غوصه إلى أغوار حقائق في مجتمعه ظلت تتسم بالهامش والتخفي وراء حقائق أخرى، سعى إلى كشفها وإظهارها للعلن عن طريق روايته هذه – بلد نون – فالمظاهر والعادات التي تسود هذه البلدة تدعوا إلى الغرابة في بعض الأحيان، والتحلل والانغماس في تلك العادات والطقوس يجعلنا نكاد لا مصدّق بوجودها في هذا العصر.

فمن الأمور التي تدعوا إلى الاستغراب في هذه البلدة والبلدات المجاورة، هيمنة السياسة على الأحكام الدينية، من خلال جعل الأئمة في صفِّها، وربط خُطبهم بما يوافق وسياسة الحكم العام، مثل تحريم البرلمان، وعدم التفكير فيه ليكون حكرا على رجال السلطة وتابعيهم فقط، فشخصية كبور مثلت لذلك من خلال أنّه «**سمع مرة خطيب الجمعة في بزو يقول إنّه حرام**»[2]، وفي مجتمعاتنا نحن العربية الإسلامية تعرف باهتمامها الكبير بالمساجد والزوايا وبالأئمة، الذين يمثّلون الدين الإسلامي، فالكل يأخذ بكلمتهم ويصدّقها، ولكن هل يمكن الخروج عن الأحكام الدينية وتغييرها من طرف الخطيب وفق ما يلائم رغبات الحاكم والسياسية، مثلما فعل خطيب الجمعة في بزو الذي حرّم البرلمان، أو مثل الإمام في بلدة نونة الذي سأله أهل البلدة عن الأرض التي تعلو ورأى بعضهم عليها أمشاج لحم وعظام، وهذا يدل على أنّ هناك جثث تدفن فيها، وهذا هو سبب ارتفاعها، وجذّرهم من السؤال «**جاء إليهم بعد استشارة إمام صلاة الجمعة، نهرهم ووعظهم، أوو**

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 176.

[2] المصدر نفسه، ص 39.

تكفرون كيف لا تهتدون، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾»[1]. فما كان على هؤلاء السكان سوى التخلي عن السؤال، سواء فهموا أم لم يفهموا، لأنّ الإمام اعتبر ذلك السؤال نوع من الشرك بالله «**حذّرهم الإمام إيّاكم والشرك بالله»**.[2]

ومن المظاهر أيضا التي جذبت الروائي وكتب عنها في روايته الذهاب إلى الأولياء الصالحين، وتلك المواسم التي تقام باسم ولي، أو ولية، أو فقيه، وتكون الحاكمية العظمى على دراية بها والمساهمة فيها.

فعادة زيارة الأولياء لها انتشار واسع في المغرب من خلال الرواية، ويكون لهذه الزيارات سبب معين كطلب الزواج، الرزق، الشفاء، العلم وغيرها، رغم أنّ كلّ شيء تغير في عصرنا الحالي، فكل ما يطلبه الإنسان متوفر لا سيما مع التطور التكنولوجي، ومثال ذلك «**وكانت برفقة الرجل لبنته، يقودها إلى ولي صالح بقرية اسمها "فم الجمعة"، لينزع عنها ثقاف العقم كما أخبرنا»**[3] فالشفاء من عند الله عزّ وجلّ فكيف أو ما هي الطريقة التي تعالج بها المرأة هذه عند ولي صالح؟، والدعاء إذا رفع من العبد فإنّ خالقه يعلم به، لأنّه لا يخفى عليه شيء، أمّا الروائي فأورد تدعوا النساء غير المتزوجات «**... سيدنا قدر، تبيت العوانس ساهرات حتى الفجر كي يظهر لهنّ ليرفع دعواتهن من أجل جلب زوج يسترهنّ، ويرد كيد اللواتي يُعيّرنَّ بالبايرات، العانسات»**.[4]

أورد كذلك الروائي فكرة الأسماء التي توضع لهؤلاء الأولياء ومواسمهم، أنّها قد تكون حقيقية أم مصطنعة، «**تزدحم الأجوبة: اسم سيدي، وسيدي، ومولاي، ولَلّا، وبنت لَلّا، لفقهاء ووليات حقيقيات أو مصطنعات، بحسب معتقد أهل المنطقة ونوايا الأتباع**

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 262.

[2] المصدر نفسه، ص 262.

[3] المصدر نفسه، 79.

[4] المصدر نفسه، ص 103.

يقيمون حولها ما يسمونه مواسم»[1]، فالتسمية تكون حسب أهل المنطقة ونوايا الأتباع الذين لا بدّ أنّ لهم فائدة مرجوة من ذلك، لأنّ تلك المواسم تقام فيها « **حفل كبير بطقوس، وبهرجة، يعلم الحاكم العام لا تفوته نفسه أن يرسل لهؤلاء السادة الأولياء، حين تقام ذكراهم ويحتفل بمواسمهم وفودا في موكب مخصوص»**[2]، فالحاكم العام له علم بكل المواسم التي تقام في الإيالة، ويعلم بكل شاردة وواردة فيها، ويساهم فيها من خلال إرساله وفودا في مواكب خاصة لها. مثل ما يحدث في بلدة نونة كل يوم خميس من كلّ أسبوع، يقوم السكان فيها بطقس غريب، وهذا دفع شخصية **سلام الحلايقي** إلى السؤال عنه، فوجد جوابه « **هو يوم الصمت الخميس من كل أسبوع، وطقس مقدّس هنا، أن يمتنع ساكنة البلدة مدّة ساعتين عن أي نشاط، ويتوجهوا بأنظارهم صوب الجبل... تسرّعت فقلت هل هؤلاء يعبدون الأصنام»**[3]، فعبادة الأصنام التي كانت في الجاهلية رآها سلام في هذه البلدة، عندما رأى الساكنة يتوجهون بأنظارهم إلى ذلك الجبل، الذي تقيم فيه كما يظنون للّاهم نونة، وكانوا قد اصطفوا في طابور مديد الواحد تلو الآخر، فقط من أجل زيارة مقام للّاتهم نونة، فهو موسمها اليوم، فكل هذا يحدث تحت علم الإيالة العظمى التي تحرص على أن يقوم شعبها بكل « **شعائرهم وأن يتّبعوا معتقداتهم على الوجه الذي لا تحرّك فيه ساكنا، يهيجهم، إياكم التحرش بهم، التعليمات أنّ الإيالة أضحت مرجعا لهذه الشعائر يقصدها العرب والعجم والبوذيون والوثنيون، وعبدة الشيطان أيضا، كلهم يعود علينا منها خير عميم، نحن هنا نعمل بما تقوم به العامة، إن وجدت قوما يعبدون الحمار، فعليك بالحشيش»**[4]. فحرص الحاكم العام على هذه المواسم والشعائر من باب أنّها تعود بالخير على الإيالة العظمى، وليس حرصا منه على أن يتمسّك شعبه بطقوسهم وعاداتهم،

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 158.
[2] المصدر نفسه، ص 158.
[3] المصدر نفسه، ص 150-151.
[4] المصدر نفسه، ص159.

فالمهم عنده ذلك الخير العميم الذي يصيب إيالته، كما قال السارد: إن وَجدت قوما يعبدون الحمار فعليك بالحشيش.

تاسعا- ساحة جامع الفنا: لماذا تمحون ذاكرتي، وتهجرون رُوَّاتي؟:

طرح الروائي أيضا موضوعا جدّ هام وحساس بالنظر إلى أهميته الكبيرة بالنسبة لبلاده، والمتمثل في محو الذاكرة، وهنا تكلّم الروائي عن الذاكرة الجغرافية لبلده، وأنّها في خطر، وتُكّاد لها مكيدة كبيرة، واستحضر هذا الموضوع على لسان شخصية سلّام الحَلايقي، الذي ينتقل من بلد إلى آخر لجمع الحكايات والقصص لتكون زادَه في الحلقة. حلّ في بلدة نونة عن طريق الصدفة، «**أنا متأكد لم يسبق لي التعرف عليه** (يقصد اسم بلدة نونة) **في خارطة الإيالة العظمى، حيثما تنقلت فيها تجد من يستبدل الأسماء القديمة، كأنّ هناك خطة لمحو الذاكرة، بل تدبير مُبَيّت، مرة تسمع من يقول يحدث هذا يسبب الاستعمار السابق، مرة أيضا هي عصبية القبائل، عادت لتنتقم من المدن، أعيانها وأفخاذها يُحيون أسماءهم، في الحواضر والبوادي، على حد سواء، وينفخون في جمْرِ ثاراتهم**»[1]، فالروائي يرى أنّ هنالك تدبير مبيّت لمحو الذاكرة، فهناك من يقول أنّ ما يحدث بسبب الاستعمار السابق، وهناك من يقول بسبب عصبية القبائل التي عادت لتنتقم من المدن من خلال إحياء أعيانها وأفخاذها عادوا اليوم ليحيوا أسماءهم وثاراتهم، وأصبح الآن هناك من يستدل بخريطة محمد الادريسي ويقول بأنّه وهب هذا مثلا المكان لأحد الأجداد، كما جاء على لسان هنيّة وهي تجادل للّا نونة «**ستزعمين كعادتك أنّ هذه الأراضي مُلكك أو لأحد أجدادك كما هو كل تراب الموغريب، تستدلين بخريطة الشريف الإدريسي، وأنّه وهبها للمقاومة، وجيش التحرير فداءً للوطن**»[2]. يذهب الروائي مرة أخرى إلى موضوع له صلة بالذاكرة، لكن ليس يتعلّق بما هو محسوس أو مادي، بقدر ما يتعلّق باللامادي، وهو موضوع فن الحكاية وما يحدث في ساحة جامع الفنا، وكيف كانت،

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص129.

[2] المصدر نفسه، ص192.

وما الحال التي آلت إليه؟ كل هذا مع شخصية **سلّام الحلايقي،** الذي يجول البلدان بحثا عن أخبار وحوادث يجعلها زاده في حلقاته، وأورد الروائي على لسانه أنّ الحكاية في ساحة جامع الفنا وهذه الساحة تعدّ الآن من أهم المقاصد السياحية بمدينة مراكش والمغرب.لا بد أن تكون لها حدود « **ما ينبغي لقَوّليه أن يتعدّوا الحدود، أو أن يزيدوا على ما تركه لنا الجدود، لا يسمح لهم الخوض أبعد مما يلهي العقول ويحفظ لنا دائما سر الإيالة وإبرام العقود، وإياهم من تأويل الكلام على غير وجهه الصحيح وبثغره المليح، والعبث في فن السرد وتهييج المستمع بأكاذيب المسرود**»[1]، فلا بدّ للرواة في هذه الساحة أن لا يتعدّوا الحدود ولا زيادة على إرث الجدود مع احترام وحفظ أسرار الإيالة وما يدور فيها من عقود، وعدم تأويل الكلام بالإضافة «**وحبذا مستملحلات ومشهيات تستطاب بها النفوس، لا يزيد فيها قلة الحياء مثل العناق والبوس، وشرط أن لا تتجاوز وصف الخدود والتملي عن بعد، في لطيف القدود، وأزيدك يا صاحبي حكيُنا وحديثنا يحتاج أن يُنقل عن سند**»[2]، فالحكاية لا بدّ أن يكون فيها ما تستهوي النفوس لجعلهم لا يملّون منها ويشترط في الساحة عدم التجاوز والتعمق في أمور تخص الحياء والعفّة فلا يمكن للراوي إلا وصف الخدود والجسم بطريقة لا تخدش الحياء، بالإضافة إلى أنّ الراوي في هذه الساحة لا بدّ أن يكون حكيه عن سند، وكذلك «**وقبل إرساله تكون قد توضأت تبدأ باسم الله الواحد الأحد، يا فتّاح يا رزاق يا الله الصمد، تتلوه بالصلاة على النبي ومنه تطلب المدد، وتلتفت يمنة يسرة، وأنت ستبدأ لتعرف من معك وحولك**»[3].

ويرى الروائي أنّ الحكاية لبّها الخيال، لأنّ المستمع لا بدّ أن تجعله ينجذب إليك بكل الطرق، والجنوح للخيال هو الطريقة التي تستمال بها النفوس «**والحكاية حتى لو سَفُل رواتها وأخنى عليهم الدهر، بكلكل، هي لَعُمرِي بلا ثمن، خاصة إذا نزعنا عنها**

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 135.

[2] المصدر نفسه، ص 135.

[3] المصدر نفسه، ص 135.

وحل الأرض، ولمَّعناها بصقل الخيال، وهو ما لا شكّ تطلبون ونفوسكم إليه تميل، ولكن اعلموا يرحمكم الله أنّ هناك حقائق باتت تظهر للعقول والعيان أغرب من شطط الخيال»[1]، فالرواية أو الحكاية ليس لها ثمن، خاصة إذا صقلت بالخيال، لكن يستدرك الروائي ويُقر يأنّ هناك حقائق ظاهرة، وموجودة غريبة جدا أكثر من الخيال، وفي الوقت الحاضر، نرى أنّ هناك تلاعب وتقاعس بالمواضيع الفكرية «**ففي أيامنا أصبح كلّ من هبّ ودبّ تتوحوح أنّها بردانة شاعرة، ويرطن مفكّرا، ويثرثر قاصا، ويهترف روائيا، ويتشنّج مناضلا وحقوقيا، وماذا أريد أيضا أن أتذكّر تلك التسمية العجيبة، نعم حضرت، فاعلا جميعا، بو جمعويا، لا فاعلا جمعويا»**[2]، فالروائي هنا يتحسّر من جهة، ويستهزئ من جهة أخرى، فأي واحد جاء في باله أن يصبح حقوقيا، بين عشية وضحاها يجد نفسه كذلك، ومن نام نفسه قاصا، صحى من نومه وأصبح كذلك، حتى أنّ هناك من يريد أن يجمع العديد من المجالات ويكتب فيها، فلم يجد أصحاب الاختصاص تسمية له، بو جمعويا أو فاعلا جمعويا.

ويورد الروائي متحسرا على ما آلت إليه ساحة جامع الفنا بعدما كانت مرتعا للحكاية يجتمع فيه الرواة من كل مكان «**فينزل الظلام بساحة بساحة الفنا، نضطر أن نفترق قبل شفاء النفس بسماع البقية، الساحة ما عادت لأهل الحكاية بعد أن غزاها باعة الشواء والعصير، تحولت بطنا هائلا بعد أن كانت بالأمس القريب مرتعا للحكاية، ومنتدى للحِكَم والأقوال والأمثال، ومحفلا للمباهج وتسليات شتى، فضلا عن لقاء العين بالعين، وما يتّسع من مفاتن».**[3]

فساحة جامع الفنا أصبحت اليوم للساحة لبيع الأكل والمشروبات بعد أن كانت أسمى بذلك بكثير، فلا أحد كان يظن أن تتحول إلى هذا، فهي الآن تحولت إلى ساحة

---

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص 284.

[2] المصدر نفسه، ص268.

[3] المصدر نفسه، ص 240.

مكتظة بالصناديق الخشبية وعربات مغطاة تبيع النقانق، بعد أن كَابَدَ **خوان غاوتي سولو** الكاتب الاسباني، في جعل هذه الساحة من التراث اللامادي وكان له ذلك «**ينظر معجبا حوله بهيئة سائح من سياح مراكش، بينما أصبح جزءا من تراثها، حزّ في نفسه ما لَحَق بالساحة من هوان، ماذا أقول عن رزقنا الذي ضاعَ، وكل تراثنا يوما إثر يوم إلى ضياع، ماذا أقول!**»[1]، فتعب هذا الكاتب الذي جاء في هيئة سائح مستكشف للساحة، ذهب في مهب الريح وكل مسعاه لدى المنظمة الدولية اليونسكو ضُرِبَ عرض الحائط، بعد هذا كله «**ضاقت مساحة الأرض المخصصة لنا نحن الحكواتيين، حتى إنّ الكاتب الاسباني خوان غاوتي سولو، ندم أشدّ الندم لمّا سعى لدى منظمة دولية لتجعل هذا الفضاء جزءا سمّوه التراث اللامادي وأفلح في مسعاه**»[2]، إذن هذه هي الحالة التي أصبح عليها التراث بنوعيه المادي واللّامادي في هذه البلاد، فهو يضيع يوما بعد يوم، وخير مثال ساحة جامع الفنا كيف كانت أمس، وكيف أصبحت اليوم، فقد كانت مرتعا للحكاية ومكانا تجد فيه النفوس الراحة واستكشاف الجديد، أمّا اليوم فهي مرتعا للأكل ومكانا يجد فيه النفوس ما يسدّون به رمقهم وجوعهم، وشتانا بين الأمس واليوم، وأصبح جمهور الحلقة اليوم يصرخون: «**يا سلّام هذا حرام، الحكاية حرام، الرواية حرام!**».[3]

مخطط توضيحي يلخص المواضيع المسكوت عنها في الرواية

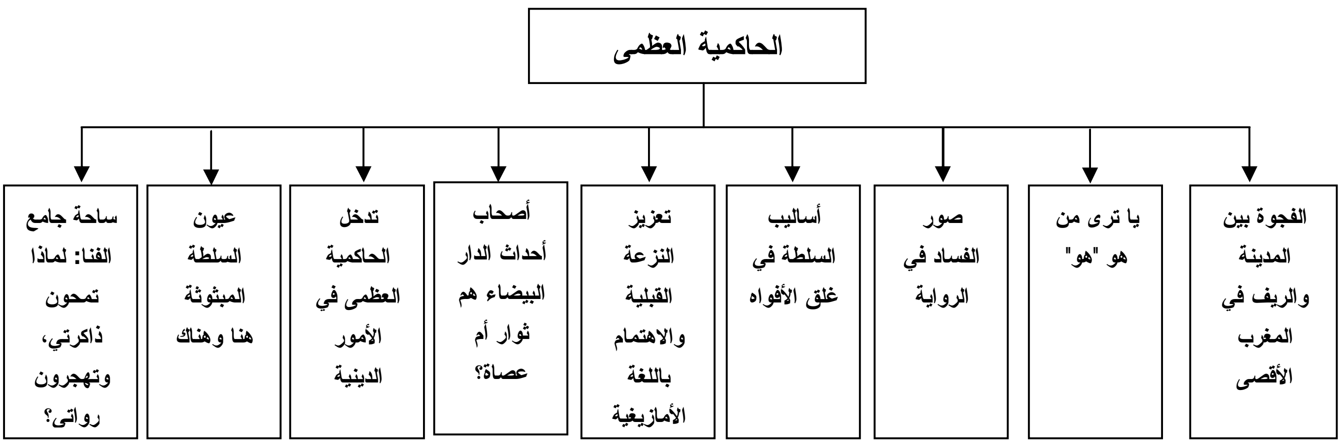

[1] أحمد المديني، في بلاد نون، ص283.

[2] المصدر نفسه، ص283.

[3] المصدر نفسه، ص 304.

الخاتمة

إن الرواية العربية الحديثة والمعاصرة ما هي إلا ديوان للمجتمع العربي وقضاياه، فهي الآن حلت محل الشعر الذي كان ديوان العرب قديما فالرواية الآن عبارة عن مرآة عاكسة وكتاب مفتوح عن المجتمع العربي للمجتمع بآماله وآلامه.

ونستنتج من خلال دراستنا هذه عدة نتائج:

- مصطلح المسكوت عنه هو مصطلح له عدة مرادفات للمعنى فنقول: المسكوت عنه، التابو، الممنوع، المحضور.

- مصطلح المسكوت عنه مصطلح نجده في مختلف المجالات وليس في الأدب فقط، فمنه ما هو مسكوت عنه في التاريخ، السياسة...

- يغلب في دراسات المسكوت عنه ظهور ما يعرف بالثالوث المحرم وهو: السياسة والدين والجنس.

- الرواية العربية الحديثة والمعاصرة تتناول المسكوت عنه بشكل أدبي فني يرمي إلى إبراز مواضيع وحقائق ممنوع على الروائي التطرق إليها بشكل مباشر وصريح لأنها قد تكون ممنوعة في ذلك المجتمع.

- يتناول الروائي في نصه الروائي المسكوت عنه الذي يريد التطرق إليها فقد يكون موضوع واحد مسكوت عنه أو عدة مواضيع، أي قد نجد تابو أو عدة تابوهات.

- تعج المكتبة العربية بنصوص روائية كثيرة تناولت المسكوت عنه في مختلف مواضيعه.

- النماذج التي اخترناها ماهي إلا قطرة من بحر الرواية جسدت المسكوت عنه في المجتمع العربي.

- أهم تيمات المسكوت عنه في هاته النماذج الروائية تيمة الجنس في روايات الفاروق تيمة العذرية في رواية عذراء خارج الميزان لفاطمة الشريف، وتيمة التهميش الاجتماعي في رواية المصاب لشادية القاسمي، تيمة السياسة في رواية التبر لإبراهيم الكوني، تيمة الدين في رواية القرآن المقدس للطيف الحلاج...

- رواية "في بلاد نون" لأحمد المديني رواية مغربية طرح فيها الروائي المسكوت عنه بشكل فني سردي عجائبي.

- تكمل جمالية هذا النص الروائي في الطريقة التي تناول بها أحمد المديني تيمات المسكوت عنه في مجتمعه.

- يغلب على الرواية تيمة علاقة الحاكم بالمحكوم وكيفية تجسيد هاته العلاقة القائمة في الرواية على التسلط والظالم والتمييز.

- أحمد المديني يشرح العلاقة بين الشعب والسلطة في عدة مواضيع كالتمييز الظاهر والجلي بين المدينة والريف، السلطة جل تركيزها على تجسيد المدن وتطوريها أم القرى فهي في خبر كان.

- جسدت الرواية كيفية تعامل السلطات المغربية مع كل من يعارضها أو يطالب بحق معين، كما فعلت مع أصحاب أحداث الدار البيضاء.

- أحمد المديني روائي أراد أن يكون صوت من لا صوت له في مجتمعه وأن يكون منبرا يحاكي مشاكل وقضايا مجتمعه وتحمل آلامه وأحلامه.

قائمة

المصادروالمراجع

- القرآن الكريم: رواية حفص عن نافع

أوّلا- المصادر:

1. أحمد المديني، في بلاد نون، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2018.

ثانيا- المعاجم:

2. إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، القاهرة، 1425، 2004.

3. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط2، 2003.

ثالثا- المراجع

4. أحمد دوغان، في الأدب الجزائري الحديث، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، د ط.

5. أحمد علي إسماعيل، دراسات في جغرافية المدن، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 1988.

6. أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم (3455) ومسلم كتاب الأمارة، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول برقم (1842).

7. ادريس بودبية، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، ط1، 2000.

8. بوشوشة بوجمعة، الرواية النسائية التونسية، المغاربية للطباعة والإشهار، 2009.

9. بوعلي ياسين، الثالوث المحرم دراسات في الدين والجنس والصراع الطبقي، ط 2، دار الطليعة، بيروت، أبريل، 1978.

10. بوعلي ياسين، الثالوث المحرم دراسات في الدين والجنس والصراع الطبقي، ط2، دار الطليعة، بيروت، أبريل، 1978.

11. جيرار جيهامي وآخرون، موسوعة مصطلحات الفكر النقدي العربي والإسلامي المعاصر، ج1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 2004.

12. حسين مناصرة، مقاربات في السرد، ط1، دار عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 2012.

13. سلطان بن سعد القحطاني، الرواية في المملكة العربية السعودية نشأتها وتطورها 1920-1979، دراسة تاريخية نقدية 1988.

14. عبان الطاهر، علم الاجتماع السياسي، قضايا العنف والثورة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

15. عبد الحميد عقار، الرواية المغاربية، تحولات اللغة والخطاب، شركة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001.

16. فاضل ثامر، المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي، ط1، دار الهدى، 2004.

17. قيس كاظم الجناي، الواقع والمسكوت عنه في الرواية العربية المعاصرة، العراق.

18. مازن معموري، الرواية العراقية... التحولات والمنجز الثري.

19. ماهر شفيق فريد، قصّ يقصُّ، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2004، ط1.

20. محمد صالح الشنطي، الأدب السعودي الحديث، دار الأندلس حائل، 14هـ، 19م.

21. هادي العلوي، قاموس الدولة والاقتصاد، سلسلة 2، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ط1، سنة 1998.

22. يمنى العيد، الرواية العربية، دار الغرابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

رابعا- الرسائل:

23. حياة لصحف، جماليات الكتابة الروائية، دراسة تأويلية تفكيكية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه شعبة النقد الأدبي المعاصر في المغرب العربي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2015-2016.

24. سوسن ابرادشة، المحكي الممنوع في روايات فضيلة الفاروق، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، أدب جزائري، كلية الآداب واللغات، جامعة سطيف، 2013-2014.

25. نزيهة زاغر، معمارية البناء السردي بين ألف ليلة وليلة والبحث عن الزمن الضائع، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، بسكرة، 2008.2007، مخطوط نقلا عن تجليات التابو في النتاج الأدبي العربي القديم والمعاصر.

خامسا: المجلات والدوريات:

26. أ.م.د حميد عبد الحمزة الفتلي، المسكوت عنه دراسة نحوية دلالية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة بغداد، حزيران 2014.

27. بحري محمد الأمين، سيميائية المسكوت عنه في الرواية الجزائرية، الملتقى الدولي الخامس "السيمياء والنص الأدبي" كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الأدب العربي، جامعة بسكرة.

28. عزيز لطيف ناهي، التابوهات المحرّمة الرواية السعودية (الجنس، الدين، السياسة)، مجلة ذي قار،المجلد 13 ايلول 2008، كلية التربية، جامعة القادسية.

29. م.م عزيز لطيف ناهي، "التابوهات المحرمة الرواية السعودية (الجنس،الدين، السياسية) مجلة جامعة ذي قار، المجلد 13، أيلول 2008، كلية التربية، جامعة القادسية.

30. محمد الأمين بحري، قيمة المسكوت عنه في الرواية الجزائرية المعاصرة. بين التواصل والقطيعة، جامعة بسكرة.

31. وفاء علي داود، التأصيل النظري لمفهوم الثورة والمفاهيم المرتبطة بها، مجلة الديموقراطية، عدد 58، جانفي 2013.

32. محمد صالح البوعمراني، اختراق المحظور في الرواية العربية بين الحداثة الإبداعية والحداثة الاجتماعية، جامعة قفصة، تونس، ديسمبر 2014.

33. رياض خليف، كتابة الهامش في رواية "المصب" للتونسية شادية القاسمي، مقال نشر: 8 يوليو 2016، www.alquds.c.o.uk .

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

مقدمة.....أ-ب

الفصل الأول

المسكوت عنه في النص الروائي العربي

أوّلا- تحديد المصطلحات.....04

1- المسكوت عنه 04

2- الثالوث المحرم 05

ثانيا- المسكوت عنه في الرواية العربية 13

أ- المسكوت عنه في النص الروائي المغاربي 13

1- المسكوت عنه في النص الروائي الجزائري 13

2- المسكوت عنه في النص الروائي التونسي 20

3- المسكوت عنه في النص الروائي الليبي.....26

ب- المسكوت عنه في النص الروائي المشرقي.....27

1- المسكوت عنه في النص الروائي السعودي 27

2- المسكوت عنه في النص الروائي المصري 33

3- المسكوت عنه في النص الروائي العراقي.....34

الفصل الثاني

قضايا المسكوت عنه في رواية "في بلاد نون"

أوّلا- الفجوة بين المدينة والريف في المغرب الأقصى 38

ثانيا- أصحاب أحداث الدار البيضاء ثوار أم عصاة 42

ثالثا- الضمير "هو" المسكوت عنه.....54

رابعا- صور الفساد في الرواية.....57

خامسا- أساليب السلطة في غلق الأفواه.....63

سادسا- عيون السلطة المبثوثة هنا وهناك 69
سابعا- تعزيز النزعة القبلية والاهتمام باللغة الأمازيغية 75
ثامنا- تداخل الحاكمية العظمى في الأمور الدينية 78
تاسعا- ساحة جامع لفنا: لماذا تمحون ذاكرتي وتهجرون روّاتي 81
الخاتمة 86
قائمة المصادر والمراجع..... 89
فهرس المحتويات
ملخص الدراسة

ملخص:

في دراستنا هذه تناولنا موضوع يمس الرواية بشكل عام وهو موضوع المسكوت عنه في النص الروائي العربي،حيث تناولنا مصطلحات خاصة بهذا الموضوع وكان عنوان دراستنا المسكوت عنه "في بلاد نون "لأحمد المديني ،فالنص الذي شكل دراستنا التطبيقية هو نص روائي مغربي؛فالروائي احمد المديني تطرق في روايته في بلاد نون لمواضيع جد حساسة تمس طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم في بلاده، حيث كشف من خلال نصع عن الممارسات غير القانونية والظالمة في حق كل من يريد أن يرفع صوته طالبا لحقوقه أو معرفة حقيقة ما في بلاده.

فالرواية كشفت عن طبيعة التمييز الطبقي والجهوي في بلاده والحياة الاجتماعية الصعبة التي يعيشها السكان المنسيون فوق هاته الأرض.

الكلمات المفتاحية: المسكوت عنه، التابو، الثالوث المحرم، الجنس، السياسة؛ الدين

Summary:

In our study, we dealt with the subject of the novel in general, which is the subject of the silent topic in the Arabic fictional text, where we dealt with terms specific to this topic and the title of our silent study was "In the Land of Noon" by Ahmad Al-Madini. A country that wants to raise its voice for topics related to knowing the truth about what is in our country in the country of Noon.

The novel and printing are of the class in our country and the difficult social life that the population lives on.

Keywords: the silent, taboo, forbidden trinity, gender, politics; Debt